كتاب اليوم

قطاع الثقافة

يصدر عن دار أخبار اليوم أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعده

رئيس التحرير :

نبيل أباظة

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٧	درهم
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١	دينار
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنت
ج. اليمنية	١٥٠	ريال
الصومال نيجريا	٨٠	بنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٣٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصر

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢

الحب
القديم

الناس يفهمون الدين على أنه مجموعة الأوامر والنواهى ولوائح العقاب وحدود الحرام والحلال .. وكلها من شئون الدنيا .. أما الدين فشىء آخر أعمق وأشمل وأبعد.

الدين فى حقيقته هو الحب القديم الذى جئنا به إلى الدنيا والحنين الدائم الذى يملأ شغاف قلوبنا إلى الوطن الأصل الذى جئنا منه والعطش الروحى إلى النبع الذى صدرنا عنه والذى يملأ كل جارحة من جوارحنا شوقا وحنينا .. وهو حنين تطمسه غواشى الدنيا وشواغلها وشهواتها .

ولا نفيق على هذا الحنين إلا لحظة يحيطنا القبح والظلم والعبث والفوضى والاضطراب فى هذا العالم ، فنشعر أننا غرباء عنه واننا لسنا منه وأنما مجرد زوار وعابرى طريق ، ولحظتها نهفو إلى ذلك الوطن الأصل الذى جئنا منه ونرفع رؤوسنا فى شوق وتلقائية إلى السماء وتهمس كل جارحة فينا .. يا الله .. أين أنت ؟.

ولحظة نخطىء ونتورط فى الظلم وننحدر الى دركات الخسران فننكس الرؤوس فى ندم وندرك أننا مدانون ، مسئولون .. فذلك هو الدين ..ذلك الرباط الخفى من الحنين لماض مجهول .. وذلك الاحساس بالمسئولية وبأننا مدينون أمام ذات عليا .. وذلك الاحساس العميق فى لحظات الوحدة والهجر بأننا لسنا وحدنا وانما نحن فى معية غيبية وفى أنس خفى وأن هناك يدا خفية سوف تنتشلنا وذاتا عليا سوف تلهمنا وركنا شديدا سوف يحمينا وعظيما سوف يتداركنا .. فذلك هو الدين فى أصله وحقيقته وماتبقى بعد ذلك من أوامر ونواه وحرام وحلال وأحكام وعبادات هى تفاصيل ونتائج وموجبات لهذا الحب القديم .

ولكن الحب هو رأس القضية .. وإذا غاب ذلك الحب فان كل العبادات والطاعات لن تصنع دينا ولن تصنع متدينا مسلماكان أو مسيحيا أو يهوديا ، وماكان الصليبيون الذين جاءونا غزاة طامعين ..على دين .. أى دين .. ولاكان سفاحوالصرب الذين يقتلون الأبرياء على أى ملة من ملل النصارى ولا كان إرهابيو اليوم الذين يفجرون القنابل مسلمين .. ولو صلوا جميعا ولو صاموا الدهر ولو أطالوا اللحى وقصروا الجلابيب وحملوا المصاحف ورتلوا الآيات ..ما بلغوا من الدين شيئا .

وهل بلغ النبى يحيى(يوحنا المعمدان) عليه الصلاةوالسلام مابلغه من نبوة إلا بذلك الحنان الذى كان يفيض منه ، والذى قال فيه ربه : « وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » (١٣- مريم) فتلك كانت أركان نبوته .. الحنان والزكاة والتقوى ، ونبينا عليه الصلاة والسلام الذى كان يحتضن جبل أحد ويقول : هذاجبل يحبنا ونحبه .. حتى الجماد كان موضع حب النبى وتوقيره . وهذا ابن عربى يقول : لن تبلغ من الدين شيئا حتى توقر جميع الخلائق ، وهذا ربنا يقول عن المؤمنين : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣ - الحجرات) فالقلوب هى دائما موضوع الامتحان وحب الله وحب ما خلق وماصنع من أرضين وسموات ونبات وحيوان وبشر هو جوهر كل الديانات الحقة .. وهو المقياس الذى نفرق به بين أهل الدين .. والأدعياء المشعوذين والكذبة وكل الدعاة الذين يغرقون أتباعهم فى التفاصيل والقشور والمظاهر ويبتعدون بهم عن روح الدين .. عن الحب والرحمة والتقوى ومكارم الاخلاق .. هم من الكذبة بقدر بعدهم عنها وما كان اعتراض المسيح على الفريسيين إلا لإغراقهم فى الجدل وفى حرفية النصوص وفى ظاهر الكلمات دون التفات الى روحهاوماكانت نقمة موسى على اليهود حينما أمرهم بأن يذبحوا بقرة .. إلا لإغراقهم فى الجدل والتنطع والسؤال .. أى بقرة تكون وما لونها ؟ . بنية هى أم مرقشة أم صفراء .. عجوز أم بكر.. « أدع لنا ربك يبين لنا ماهى » .. أو لعلك تهزأ بنا .. هذا الجدل والغرق فى التفاصيل والتحجر على الحروف والكلمات أخرجهم من الدين فى نظر موسى واستحقوا عليه التقريع واللوم .

وللأسف الشـديد التدين اليـوم خرج من روح التـدين بسبب انحراف الدعوة وانحراف أكثر الدعـاة وإغراقهم فى القشور والتفاصيل والخلافيات والأمور الثـانويـة مماألقى بـأكثر المسلمين الى الاختـلاف والجدل ، ومما خلق الـذرائع لمحترفى الارهـاب ولهواة التعصب وممـا أوجـد هـذا التـدين السطحى المتهوس الأبله ، وأرى أننا مطالبون اليوم أكثر من أى يوم مضى بالعـودة الى روح الاسلام والى نبعـه الشامل .. الى فضـائل الحب والرحمة والمودة والتقوى وسعة الصدر مع الخصوم وتدبر معانى النصوص وعدم الوقوف عند حروفها وقراءة القرآن بالقلب وليس بالأحداق .

والاسـلام ليس ألغـازا وليس لوغـاريتمات ولا يحتـاج منـا الى كل تلك الفتاوى .

والنبى عليـه الصلاة والسـلام أجـاب من سألـه عن الاسلام فقـال فى كلمات قليلة بليغة :

« قل لا اله إلا الله ثم استقم »

هكـذا ببساطـة .. كل المطلـوب هـو التوحيـد والاستقـامة على مكـارم الأخلاق .

إنها الفطـرة والبداهـة التى نولـد بها لا أكثر ، أن تحب أخـاك كما تحب نفسك .

اسأل نفسك .. هل تنام كل يوم على مـودة وحب ورغبة فى الخير ونية فى عمل صـالح أم على غل وكراهيـة وحسـد وتربص ؟.. وستعلم الى أى مـدى أنت على دين الاسلام .

ماذا تخفى فى طيـات ثيابك .. هل تخفى خنجرا أو مسـدسا .. أم تخفى هدية حب ورسالة خير لإخوانك؟

هل تخطط لتبنى أم لتهدم ؟!.

هل تنطق بالطيـب من القول وبالنـافع من الكلام أم تـدعو الى الخراب والدمار والفتن ؟.

إن الـدين لايحمـل سـيفا إلا للدفـاع عن مظلـوم ولايعرف العنـف إلا اصلاحا .

بهذه المقاييس تعرف نفسك وتعرف الخانة التى يقف فيها ذلك الداعية الذى يدعوك الى الاسلام.. وتعلم أين يقف.. مع الدين أم مع الاجرام .

إن الفطرة والبداهة دليلك.. ولست فى حاجة الى فقه أو فلسفة أو فتوى .

قلبك يفتيك .

إنه الحب .. قلب القضية وروحها .. والجوهر الصافى لجميع الأديان وكل الرسالات .

أما الشرائع والأوامر والنواهى فهى لتنظيم شئون الدنيا لا غير.. وهى تابعة للإطار العام.. إشاعة السلام والعدل والحب بين الناس.. وسوف يتوقف عملها فى الآخرة .. حينما لايعود لأحد حكم أو سلطان .. « لمن الملكُ اليوم لله الواحد القهار » .

إنتهت وظيفة كل الشرائع وكل الأوامر .. لأن الأمر الآن اصبح أمر ملك الملوك مباشرة والتصريف تصريفه والعدل عدله والبطش بطشه.. ولم يعد لأحد الحرية فى أن يطغى أو يظلم .

ومجال الشرائع أذن محدود بوظائفها وزمانها .

وكما قال الفقيه الاسلامى العظيم.. العز بن عبد السلام :

فى زمان شيوع البلوى إذا أصبح تطبيق الشريعة مؤديا الى ازدياد المنكر فإنه يحسن بالمسلم عدم تطبيقها .

ومن هنا أفتى بعدم تطبيق حد الخمر على عسكر التتار ، لأن سكرهم وغيبوبتهم سوف تكف شرهم عن الناس وفى ذلك فائدة وخير .. بينما إفاقتهم سوف تؤدى بهم الى معاودة الأذى والضرر وفى ذلك مزيد من المنكر .

لقد فهم ذلك الفقيه العظيم أن حكمة الشرائع هى إقامة المصالح فى الدنيا وأنها مرتبطة بالمنافع وليس لها حكم مطلق وأن مجالها محدود بوظائفها وزمانها .

وبهذا المعنى نفسه لم يطبق النبى عليه الصلاة والسلام حد القطع على السارق فى سنوات الحرب كما لم يطبقه عمر بن الخطاب فى عام المجاعة .

ونفس هذا الكلام يقال للغوغائيين من الدعاة والسطحيين الذين

يطـالبون بقطـع الأيدى والرجـم والجـلد علاجا للفساد الموجـود .. وهم لا يعلمـون أن الفقه الاسـلامى نفسـه لا يوافقهم على هـذا الفهم السطحى والغـوغائى .. فـالعصر بـاعترافهم عصر شيـوع الفسـاد وشيوع البلـوى وبالتـالى يستوجـب فقها آخر مـلائما للظرف القـائم .. لأن تطبيق الحدود العادية سوف يزيد المنكر نكرا .. فالوزير والكبير الذى يسرق مئات الملايين عن طريق العمولات لن تنطبق عليه شروط القطع الفقهيـة التقليدية وسوف يعفى من القطع بينما النشال الذى يسرق خمسة جنيهات سوف تقطع يده وفى ذلك ظلم فاحش وتشجيع للكل بأن يسرقـوا وينهبوا بالوسـائل الملتوية من عمولات ورشوة وإختلاس وتـزييف وخلافه.. وفى ذلك حض على عموم المنكر.

وعلى باب أى محكمة يمكنك أن تشترى أربعـة شـهود زور لتقطع يد من تـريد ، وتـرجم من تشاء ، ثم مـن يقطع يد من فى عـالم كله من اللصـوص والمرتشـين..؟!!

ونفس الشـىء يقال فى معاقبة الزانى بـالرجم فى الوقت الذى تحض فيه الإذاعـات والبث التلفـزيـونى الخارجى الهابـط من الجو عبر الأقمار الصناعية على الفحش العلنـى وتدفع بالشباب دفعا الى الفسـق.. فالشباب مجنى عليـه وليس جـانيا واطـلاق الحدود فى مثل هـذه الحال من شيـوع البلوى ظلم.. فضـلا عن استحالة استيفاء الشروط الفقهيـة للرجم وهى ,, أربعة شـهـود يحلفون بأنهم شـهدوا عمليـات الإدخال.. فالعقوبـة هنا غير واردة.. وهـؤلاء الـدعـاة الغـوغـائيـون يقـولـون افكـا من القـول وزورا ويباشرون فـهما متحجرا ضيق الافق ، لايقول به أى فقيه مسلم مستنير .

وينسـى هؤلاء عقلانية الإسلام ومرونتـه وتقديره للظروف.. ويأخذون من القرآن آية واحدة مقطوعة عـن سياقها ويغفلون روح القرآن فى مجموع آياته ونصوصه وهو كتاب أوله رحمة وآخره رحمة .

ألم يقل الانجيل فى صريح آياته :

إن اعثرتك يدك فأقطعها وإن اعثرتك عينك فاقلعها .

وهـو أمر بقطع اليـد التى تسرق وفقء العين التى تـزنى .. ومع ذلك لم

يقل أحد من المسيحية بهذا .. وإنما وضعوا الآية داخل مجموعة آيات الانجيل وسورة ، وقالوا بالروح العامة التى تشيع فى كتابهم .. وهى روح المحبة والرحمة والعفو والمغفرة .. واكتفوا بالعقوبات التعزيرية مثل السجن والتأديب والغرامة .

بهذا المفهوم من الحب والرحمة يكون النظر الى الشرائع فى إطار زمانها ومكانها وظروفها وفى اطار الرحمة التى أوجبها الله .. فهو سبحانه خلق لنا الشرائع لإسعادنا فى الدنيا وليس لتعذيبنا وخلق لنا العقل لنتدبر كلماته ولم يضع داخل رؤوسنا حجارة ولا جعلنا آلات تنفذ فى آلية بلا تدبر وبلا تفكير .

وأراد بروح النصوص أن تكون هى الحاكمة على حروفها .. وبدأ باسمه الرحمن الرحيم كل شىء .

وإسلامنا أوله رحمة وآخره حمد وأوسطه محبة .. والحب هو روح الوجود وهو سر ديمومته .. وهو النفحة الربانية التى بدونها تنهد أركان الشرائع جميعها وتزول النعمة وينعدم المعنى وبدون الحب فى قلبك لا يعود لوجودك معنى ولا لفضائلك معنى ولا لدينك معنى أى معنى مهما أطلت اللحى وبسملت وحوقلت وصمت وحججت واعتمرت .

وغنى عن البيان أن المقصود بالحب هنا هو حب الحق وحب الخير وحب العدل وحب الجمال وحب المثل العليا وهى جميعها أسماء الله الحسنى ومسمياته .. فهو سبحانه وحده الذى له المثل الاعلى فى السموات والارض .. وهو الحق وهو العدل الحكم وهو بديع السماوات والأرض . وكل جمال فى الكون يرتد الى جماله وكل كمال فى الخلق يرتد الى كماله وهذا هو الحب القديم الذى فطرنا عليه منذ أن خاطبنا ربنا قبل أن نولد وقبل أن نجىء الى الدنيا هاتفا بنا :

« ألست بربكم » .

فقلنا جميعا ونحن ننظر بتعلق وحب الى وجهه الكريم :

« بلى شهدنا » ..

وهذا الحب هو حقيقة كل الأديان وروح كل العقائد وأساس كل الملل .. وبدونه لا معنى لدين ولا معنى لدينونة .

وهذا الشوق النبيل هو الطاقة الدافعة وراء كل فن عظيم وكل إبداع رفيع ، وكل فكر ملهم ، وكل استشهاد وكل فداء وكل بطولة .

وهذه النورانية فينا هي التي اقتضت سجود الملائكة وتسخير الكون لنا .. وهي التي جعلت حياتنا رغم مشقاتها وعذابها جديرة بأن نحياها .

وبدون هذا الحب

في ساعات الخطر يتحد المختلفون ويلتقي أبناء العم وأبناء الخال وأبناء سابع جد وتذوب الأحقاد الصغيرة ويؤلف الخطر الداهم وشيجة توحد كل القلوب ..

وهذا شأننا اليوم وقد رأينا ما يصنعه الحلفاء الأوروبيون والأمريكيون بمسلمي البوسنة المظلومين المحاصرين بالرصاص والقنابل والجوع والموت فلا تكون نجدتهم إلا بتكريس هذا الظلم وإضفاء الشرعية على هذا الحصار وإقرار الناهب على ما نهب والتسليم للمغتصب بما اغتصب ، ثم تحويل ما تبقى من أرض إلى معتقلات أبدية تعيش فيها البقايا المنهوبة والهياكل المغصوبة تتسول المعونات من جنود الأمم المتحدة وتأكل من فتات الأيدي مثل حيوانات الأقفاص .

وتلك هي القرارات الوضيعة التي وصل إليها السادة الأوروبيون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

أخيرا أفصح هؤلاء الناس عن عواطفهم الحقيقية ، اتفقوا في البداية على تكتيف أيدي الضحايا وحظروا عليهم أي سلاح يدافعون به عن أنفسهم .. وأخيرا قرروا سجنهم في جيوب ومعتقلات إلى الأبد يلقون إليهم بفتات الطعام وهذا عدلهم .. وهذا قانونهم .. وبئس ما صنعوا .

فماذا نحن فاعلون ؟

أما زلنا نختلف سنة وشيعة وشوافع وأحنافا وزيودا .. وعلى ماذا ؟

على ماء الوضوء يصل إلى الكوع أو يشمله .. وعلى الأيدي ترسل على الجانبين أثناء الصلاة أو تضم على الصدر .. وعلى نقاب أم حجاب .. ولحية أم جلباب .. وأذان واحد لإقامة الصلاة أم أذانان .. ونجهر بالصلاة متى ونخافت بها متى .. وننتظر الإمام الغائب أم لا ننتظر .. ونولي الفقيه أم السياسي .. ونضع أموالنا في البنك أو في دفاتر الادخار ؟ .

يا سادة .. فيم تختلفون .. ألا ترون الأيدى التى تريد أن تلقى بكم فى جب وتهيل عليكم التراب .. ألا تسمعون كلام الله يدوى فى آذانكم .

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٩٢ ـ الأنبياء) .

ألا تسمعون وعيده وتهديده :

« وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » (٣٨ محمد) .

وإنه ليوشك أن يفعل إذا استمر خلافنا .

وفيم الخلاف وقد آذن الموت باقتراب وأطبق علينا التآمر من كل جانب

وكيف يختلف أهل توحيد وأهل فطرة .. دينهم أبسط وأوضح من نور النهار .. أوجزه نبيهم فى كلمات :

قل لا إله إلا الله ثم استقم .

لم يذكر عمامة ولا جلبابا ولا لحية ولا نقابا .. وإنما فقط الاستقامة على مكارم الأخلاق وعلى توحيد الله .. وكل ما عدا ذلك فضول .. وهل البنوك حرام أم حلال ؟وهل التصوير حرام أم حلال ؟. وهل الغناء حرام أم حلال ؟.

وقد غنى البنات والأولاد للنبى عليه الصلاة والسلام عند قدومه المدينة وأنشدته الخنساء الشعر فاستزادها .. ولو كانت هناك كاميرات على زمان النبى لوجدنا له ولصحابته الكرام مئات الصور .

وهناك الجيد والرقيع من الفنون الذى تنشرح له الصدور ، وهناك الوضيع والهابط الذى تعافه الأذواق وترفضه النفوس قبل الشرائع .

وتستجد فى كل زمان أحوال وظروف .

وتطرأ ملابسات ومتغيرات ..

ثم لا تختلف الأذواق على قبح القبيح وعلى حسن الحسن .

ولا يحتاج أهل الفطر السليمة إلى فتاوى وإنما قلب المؤمن دليله .

إنما هى تجارة جديدة يمشى بها تجار السوء فى الناس فيشككون فى كل شىء ويبثون الوسواس وينشرون الخلافات ويشيعون المخاوف ويبثون الأحقاد ويجعلون من كل طائفة عدوة لأخرى ويجعلون من كل إنسان خصيما لأخيه .

وهى تجارة تروج مع التخلف وتزدهر فى الأزمنة الرديئة .

ونحن بلاشك فى أردأ الأزمان.

وإذ يوشك الظلام أن يشتد ويملأ تجار السوء الأرصفة ببضاعتهم الفاسدة ويتنادى أبالسة الشقاق ليشتتوا الناس شراذم وجذاذات ... بينما تزحف علينا العداوات من كل جانب ونحن فى غفلة .. لا أملك إلا أن أصيح بالكل أن تنبهوا .. واستقيموا يرحمكم الله .. وسدوا الفرج .. وضموا الصفوف.. فليس أولى بالوحدة منا نحن عباد الواحد .. فليس عندنا كثرة من الإلهة تختلف عليها ، وإنما هو واحد ، ونبينا واحد ، وقبلتنا واحدة وصلاتنا واحدة .. ولا خلاف بين سنة وشيعة فكلنا بحب أهل البيت مشغوفون ، وبسيرتهم مغرمون ، وسيدنا على هو سيد شباب أهل الجنة وهو فى أعيننا سنة وشيعة .. والطقوسية ليست بضاعتنا .. وإسلامنا ليس ضد النصارى بل هو معهم ما تعاونوا وما تحابوا .. والذين قتلوا مسلمى البوسنة ليسوا بنصارى بل هم وحوش لا ملة لهم ولا دين .. ولو كانوا نصارى لمنعهم إنجيلهم الذى يقول أحبوا أعداءكم .. واتباع عيسى بحق واتباع محمد بحق هم على طريق واحد وهو طريق موسى وطريق جميع الأنبياء ، فكلمة الله لجميع أنبيائه واحدة ، ولكن صهاينة اليهود خانوا توراتهم واتبعوا أهواءهم واتخذوا من التلمود والبروتوكولات دستورهم .. وصليبية اليوم ليست صليبية نصرانية بل صليبية صهيونية يهودية .

وأقول لكم: اتفقوا وتناصحوا وتحابوا وتآخوا وتماسكوا صفا واحدا .

وإذا كان ربنا يقول إنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. فإن ما بأنفسنا الذى يريد ربنا أن نغيره هو هذه الأنانية والعصبية والطائفية وعبادة الرأى وعبادة النفس وعبادة الهوى وحب الدنيا والانغلاق على شخصانية ضيقة غبية عمياء لا ترى إلا لشبر واحد أمامها.

لم يطلب منا ربنا حيازة تكنولوجيا الذرة والالكترونيات والليزر لينصرنا .. وإنما طلب هذا الطلب الواحد البسيط ... أن نغير ما بأنفسنا .. وقد أرانا بأعيننا كيف انتهت روسيا دون حرب ؟ وكيف ركعت على أقدامها دون أن تطلق عليها رصاصة .. وكيف انهزمت من الداخل .. من داخل

نفوسهـا فانهارت وعلى ظهرهـا من القنابل الهيدروجينيـة ما يكفى لتفجير الكرة الأرضية عدة مرات .. فكذلك تكون نهاية الأمم العملاقة حينما تطغى .

وأتوجـه بهذا النداء إلى ٤٧ دولـة إسلاميـة فيها أكثر من نصف كنوز الكرة الأرضيـة وأغلبهـا يتسول طعامه ويقترض مصروف يـومه ، وأقول لهم : منظـركم عجيـب وأنتم كـالإبل الشـاردة لاتجتمع على كلمـة .. ألا تسمعون حادى الصلاة وهو ينادى عليكم :

استقيموا يرحمكم الله ، وسدوا الفرج وضموا الصفوف.

إنما يريدها سنة حياة لا تعليمات لمدى خمس دقائق .

فصـلاة المسلم هى مـؤشر لحياتـه ، ولا صـلاة لكم وأنتم ممسكـون بعضكم بخناق بعض .

فاجتمعـوا وتحابوا واتحدوا فقـد تداعت عليكم الأمم تـداعى الأكلة على قصعتها وأنتم كثير ولكن كغثاء السيل الذى انفرط وتفرق بددا .

فهلا اجتمعتم .. قبل أن يأتى عليكم الطوفان .. أليس فيكم رجل رشيد ؟

عجبت لكم .. أراكم فى الصـلاة تتوجهـون با لملايين إلى كعبـة واحدة فى مكة .. فإذا انقضت الصلاة انفرط الجمع وتفرقت بكم الطرق .. فمنكم من كعبتـه واشنطن ، ومنكـم من كعبتـه بـاريس ، ومنكم مـن كعبتـه جنيف ، ومنكم من كعبته إسرائيل ، ومنكم مـن كعبته صندوق النقـد الدولى ،ومنكم من كعبته الـ CIA .. ومنكم من كعبته نفسه .

فأى نجاح تنتظرون وكل منكم حرب على الآخر ؟

هـلا أرسلتم النظـر لأبعـد من أقـدامكم ؟ فـالموت على البـاب والله من ورائكم محيط وما تبقى من عمركم لحظـة .. ثم لا يعود يغنى مال ولا بنون ولا جاه ولا ملايين الدولارات فى بنوك نيويورك ولوكسمبورج ولندن .

لقد قـررت إسرائيل ياسـادة أن تقيم دولتها الكبرى على أكتـافكم .. على أكتاف عداواتكم وتفرقكم . وقررت أن يكون ذلك فى السنوات الأربع الباقية من حكم رجلها كلينتون .

فهل أنتم منتهون ؟

الاسم ..
اللطيف ..
ومعجزته ..

ماهذا الذى يحدث فى روسيا ؟

هل كان هذا النظام الحديدى آيلا للسقوط بهذه الدرجة ؟ ..

كيف صعدوا إذن إلى الفضاء .. وصنعوا اسطورة الأقمار الصناعية .. والمحطة « مير » والصواريخ عابرات القارات .. والميج .. والسام .. والرؤوس النووية .. والمفاعلات الذرية .. والتفجيرات تحت الماء .. وسلاح الغواصات المرعب .. وقائض الأموال الذى كانت تطعم منه روسيا دولا وشعوبا مثل كوبا ونيكاراجوا وموزمبيق وانجولا ومختلف الذيول الأخرى .. وجيوش الجواسيس فى أقطار الأرض الأربعة وشبكة المخابرات الرهيبة التى كانت تتصيد العملاء من قلب لندن ونيويورك وباريس .. و « تدوخ » أكبر العقول ؟ !.

هذا النظام الذى صمد لضربات هتلر ومدافعه وطائراته وقاذفاته وخاض الجحيم وانقض على الجيش الألمانى ليصرعه فى قلب برلين وعاد يغنى « الإنترناشيونالى » وليبنى الخراب والدمار ويرفع روسيا من الانقاض الى الفضاء والكواكب والنجوم وعنان السماء .

كيف ينهار فجأة .. وتتكشف كل هذه العملقة عن شعب لايجد الخبز وأسراب تائهة من البشر تفتش عن اللقمة فى أكوام القمامة ..

هكذا فجأة بلا حرب وبلا ضرب !!

ماذا كانت تلك الهمسة التى كانت تحمل سر الله ولطفه الخفى .. والتى همست فى هذا البنيان الأسطورى فسقط فجأة من طوله بلا قتال ..

إن جورباتشوف حينما حمل إلى شعبه بشارة « البرسترويكا » كان يظن أنه يقدم لهم حلما وأملا وأنه يصلح الشيوعية ويقويها ويطورها .

هكـذا كان يقول الرفاق .. ولكن ماحدث كان النقيض تماما .. وكان فى ظنى مفـاجأة لجوربـا تشـوف نفســه .. فقـد انهدم المعبـد كلـه فجأة وسقطت الأنقاض على رأسه .. ثم دفن الركام كل شىء .

لقد استدرج الله هذا الرجل ليهمس فى أذن النـاس بالحرية ويرفع عنهم غائلة الخوف ويدعوهم إلى مصارحة ومفاتحة ومكالمة حبية ..

وفجأة ذابت المادة الـلاصقة التى كانـت تمسك بأطراف البنيـان كله .. فلم يكن يمسك بأطـر اف هـذه الأمبراطـوريـة العـريضــة ســوى الـرعب والخوف .. ولم يكن يمسك الجدران سوى القمع والقهر .. وكـان الكذب هو « المانشيت » الكبير الملصق على قباب الكرملين ..

كانت الشيـوعية بيتا من الشعـارات وقلعة من الملصقات وبنيانـا هائلا من ورق الكوتشينــة .. وكان الكل عبيـد الخوف وأسرى الكربـاج .. وكانت العظمة ديكورا من الخيش الملون ..

وانكشف المسرح فجأة على حقيقته .. فالشيوعية والحرية لاتقومان معا .. والحرية لا تصلح الشيوعية بل تقضى عليها ..

وجورباتشوف قد أدرك الآن هذا وأدرك أنــه قد هدم روسيا السوفيتية من حيث ظن أنـه يطورها ويبنيهـا .. وانه كـان المعول .. وأداة الخراب من حيث لايدرى ..

وكان فى قدر الله وقضائه أن يهُدم المعبد بأيدى سدنته ..

واحسب أن هذا معنى اسمه .. اللطيف .. انه سبحانه الذى يحقق مراده فى خفاء وبلا جلبة وبأيدى أعدائه الذين يظنون أنهم يحسنون صنعا ..

وقد سألوا جورباتشوف أخيرا : هل تؤمن بالله .. فقال : لا أؤمن ..

ولا أدرى مـاذا سيصنع بـه الـزمن الـدوار أكثـر ممـا صنع .. ومـاذا سيكشف له أكثر مما كشف ..

ولكن يقينى إنــه إذا كانت فى هـذا النظام المنهار قيمـة أو معنى لما سقط هكذا ككومة تراب وتبخر وأصبح كل شىء .

وتصل إلىّ دائماأعداد صحيفة « مجاهدى » أفغـانستان » وفيها يقولون دائما إنهم هم الذين هزموا روسيا ..

وأحسب الآن أن في كلامهم معنى .. فهم لم يهزموها بالسلاح .. ولكن بدعوة مظلوم كان يموت في العراء على جبال أفغانستان الجرداء وقد بقرت القنابل احشاءه .. وكان يهمس في حشرجته :

الغوث .. الغوث .. ياقوى على كل ظالم .. وقد أجاب الله باسمه اللطيف ..

وكان ذلك المشهد التاريخي العجيب ..

أمة تموت وهي تحمل على ظهرها أسلحة وقنابل ومتفجرات تكفي لنسف الكرة الأرضية عدة مرات ..

فذلك هو الاسم .. اللطيف .. وسره الخفي .. حينما يقبض بلطف على رقبة الظالم ولا يتركه إلا عدما .. وصدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .. حينما سجد يستعيذ ويستغفر :

« اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك .. وأعوذ بعفوك من عقابك .. اللهم إنى أعوذ بك منك » .

فذلك هو الله .. الذي به يستعاذ .. ومنه يستعاذ .. وهو الأول والآخر وصانع التدبير ..

هذا تفسير الموحدين الذين يرون المشيئة الالهية في كل شيء ..

ولكن العقلية الغربية لاتنظر بهذه الطريقة ولا ترى بفكرها إلا حسابات الواقع وموازين القوى وتظن كل دولة كبرى إنها تمسك بخيط الحوادث وأنها توجه التاريخ حيث تشاء وتشعر أمريكا بالأمان وهي تسند ظهرها إلى « البنتاجون » وإلى ترسانة حرب النجوم وعيونها في كل مكان وأقمارها في الفضاء تتجسس على دبيب النمل ..

ولا توجد في الحسابات الغربية كلمة الله .. ولهذا لاتشعر أمريكا بحرج في مساندة عدوان أو الوقوف مع ظالم .

ولقد ساندت اسرائيل وزرعتها في الوطن العربي وسلحتها بالقنابل النووية ، وراحت تجند مائة صوت في الأمم المتحدة لترفع عنها تهمة العنصرية .. تفعل هذا في الوقت الذي تلقي فيه اسرائيل بقنابلها على جنوب لبنان وترفض كل عروض السلام في واشنطن وتضرب عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة وتخطف الرهائن .. فماذا حدث لتنال فجأة هذه البراءة ؟

لقـد ولـدت اسرائيل عنصريـة ومـا زالت عنصريـة .. ولاشيء تغير فى سلوك اسرائيل لتمحو الأمم المتحدة قرارها الأول ..

وكـالعـادة اختلف العـرب .. اعترضت الأغلبيـة ومعهـا كل الحق .. ولم تشترك مصر وتونس والمغرب والبحرين وعـمان والكويت فى التصويت .. « لتوفير مناخ مناسب للسلام » أى سلام ؟ أليس الحق أولى ؟

إن أمريكـا دولة كبرى وهى على رأس الكـوكب الأرضى حـاليا .. « على العين والرأس »

ولكن لا شيء يبقى فى مكانه .. فنحن على كوكب دوار ..

وبالأمس كانت روسيا الى جوارها على القمة ، وغدا لاندرى ماذا يحدث .

ولكنـا نعلم علم اليقين أن الدنيـا لاتديـرها أمـريكا ولا يـدير شئـونها الكونجرس.. ولكن إرادة إلهية لاتغفل ولا تنام ..

وفيما رأينا من أحداث التاريخ عبرة تكفى ليعود الأعمى منا بصيرا ..

نسأل الله باسمه اللطيف اللطف ..

خطـأ الإسـلاميين

الاسـلام دعـوة تأتى للناس بما يحبون على يـد قدوة يعرفـونها بمكارم الاخلاق وليس انقـلابا يأتى على ظهر دبـابة يحمله الى النـاس بكباشى أو عقيـد .. وحينما تـحول الأخوان المسلمـون فى الماضى من دعـوة تسعى الى النـاس بـالحسنى.. الى جماعة سريـة تسعى إلى الحكم بـالقنـابل .. انتهى أمرهم ..

والاسلام فى مبدئه جاء للوثنيين فى قـريش كدعوة ودخل المدينة المنورة للمشركين مدعوا تستقبله الأغانى ولم يدخلها قهرا بالسيوف والنبال ..

فما بـاله اليـوم وهـو يدخل ديـارا هى ديـار إسـلام بالفعل .. يأتيهـا بـالحديد والنـار والخسف والعسف والاعـدام والمحاكمات والمشـانق كما حدث فى السـودان .. وكما ترسم لنفسهاالجماعـات الإسلامية المتطـرفة فى أكثر البلاد ..

إن الاسـلام ليس انقلابـا عسكريـا .. وليس اصلاحـا للناس بـالعنف وليس أكراها للناس على غير طبائعهم ..وإنما هـو هداية للناس الى الفطرة.. الى فطرتهم التى فطرهم الله عليها..

وهو دعوة وليس انقلابا ومخاطبة بالحسنى وليس مخاطبة بالكرباج ..

إن الاسـلام موجـود فى ديارنا بالفعـل .. والآذان يـدوى من المـآذن « لا اله إلا الله » كل يوم خمس مرات .. والنـاس تسعى الوفا الى المساجد .. ولاحاجة بنا الى انقلاب وإنما لإصـلاح يسعى الى الناس من قنواته الشرعية انتخابا طوعيـا واصواتا تخاطب الناس من منابر بـرلمانية وليس من أبراج الدبابات ومن فوق ظهورا لمدافع..

ويـريد النـاس أن يـروا فى الداعيـة قـدوة ومنبرا علميا رفيعـا.. وليس شقشقة لسان من شـاب حدث لايعرف من دينه إلا آيـة أو بضع آية يسعى بها ويلوى معانيهـا على هواه ؛ ليسوق الناس أمـامه بالعصا كـالدواب الى حيث يريد..

إن الاسـلام حضارة.. وحوار رفيع المستوى.. وإنقاذ.. ورحمة..

والإنقاذ لايـأتى للناس كـرها ورغم أنوفهـم.. ومن يرد أن ينقـذ الناس لايضـعهم فى السجـون ولا يعلقهم فى أعواد المشـانق ولا يقهرهم قهـرا على غير مالا يريدون..

لاتعطوا للعالم رخصة لإدانـة الاسلام بما ليس فى الاسلام. ولاتعطوهم عذرا ليسموا الجهاد إرهابا فيصرفوا الشباب عن أشرف غاياته..

لقـد أصبحت كلمـة «الأصـوليـة» تعنـى العـداوة من فـرط مـا أسىء استعمالها ومن فرط مـاحملها الى الناس أقوام لا أصـالة فيهم ولا خلق لهم ولاخلاق.. وإنما هم طلاب سلطة وطلاب رياسة وطلاب حكم يتحكمون به فى الرقاب..

إن الاسـلام محبـة ورحمة ومكارم اخلاق أولا.. ومـن لاتوجد فيـه هذه الخصـال فليبحث لـه عن راية أخرى يـدعو الناس تحت لـوائها.. وحق لهذا العصر أن نسميـه عصر العنف وعصر الشعـارات وعصر التـزييف وعصر التدليس..

الذين رفعوا شعـارات.. توظيف الاموال بالمرابحة الاسـلامية.. ورفعوا لافتـات.. لا ربا ولا ريبـة.. كانـوا هم أنفسهم أهل الريبـة.. وكانـوا حثالـة لصـوص..

وصــدام حسين الذى رفع رايــة الاسلام كــان عــدوا للإســلام.. انتهك الجوار وخان الأمــانة وقتل الأبــرياء واغتصب المحصنــات ونهب الأموال.. وكان مــاضيه الدمــوى وحكمه الدمــوى ونظامه البعثى العلمانى منــاقضا لكل ماهو دين ولكل مــاهو اسلام.. ومع ذلك صدقــه البلهاء.. ومشى خلفه المخدوعون . واتخذه مرضى القلوب إماما ورائدا..

ياأخوانى.. راية الاسلام ليست ذريعة وليست فرصة تلتقط..

راية الاسلام أمانة لايحملها ولاينالها إلا كل رحيم تقى..

فكروا طويلا قبل أن تصفقوا.. وتــدبروا أمركم قبل أن تهتفوا.. وأعملوا عقولكم قبل أن تسلموا رقــابكم لكل طامع.. فأنتم بشر.. ومن أكرم من خلق الله.. ولستم سوائم..

كـــــــلام
عـن الآخـرة

لو لم تكن هناك آخرة لوجب أن توجد .. فدنيانا هذه استولى عليها الغشاشون والمرتشون والكذابون والمنافقون والقتلة وعلا فيها الأدنياء وارتفع الأخساء وحكم السفاحون وفاز الدجالون وتقلد المداهنون النياشين والأوسمة ، أما الطيبون فلزموا الخنادق والكهوف ولاذوا بالجدران يدافعون عن لقمتهم الصعبة واعتزلوا شوارع النجاح القذرة وتجنبوا أوحال الشهرة ومزالق الجاه .

والقمم التى تتشدق الآن بالعدل وبحقوق الانسان هى نفسها التى داست على العدل وعلى حقوق الانسان ، وهى نفسها التى وقعت على أوراق إعدام الشعوب وعلى مذابح الضحايا وعلى محارق المغلوبين بالجملة .

قد يقول قائل : ولماذا يستوجب هذا الظلم افتراض آخرة ؟ فأقول بيقين:لأن العطش الى الماء يدل على وجود الماء وعطشنا الى العدالة أشد .. وهو الدليل القاطع من داخلنا على وجود العادل .

إن من زرع فينا العطش الى الخير والحق والعدل قد زرع المؤشر الذى يدل عليه وهو برهان قطعى لأنه برهان من قلب وجودنا وليس ثرثرة منطق ولا جدلا فلسفيا فارغا .

إن نور الحق من داخلنا .. يقول : هناك يوم لن يفلت فيه ظالم .

إن الذى أقام موازين هذا الكون المحكم الذى لا يستطيع أن يفلت فيه الكترون خارجا عن مداره دون أن يحصل على شحنة تساوى حركته .. وهو جسيم أصغر ألف مليون مرة من الهبأة .. يقول لنا ربنا بهذا المثال البليغ : إنه لن يفلت ظالم واحد من موازينه .. ولو قال ظاهر الدنيا غير ذلك .. فلابد من آخرة تصحح جميع الموازين .

إن قول الله فى كتابه .. « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » تعنى ان أغلبية هذا العالم هم من الكفرة وان كانت بطاقاتهم الشخصية تقول غير ذلك .. وان أغلبيتهم إلى النار .

ألم يقل عن الساعة إنها خافضة رافعة .. أى انها سترفع الأذلين والمبتلين من أهل الدنيا الى أعلى المنازل وستخفض با لمتكبرين من أهل الجاه الى الهاوية .. ولهذا سماها بيوم الفزع الأكبر .

ولكن الأهواء والشهوات التى تسيطر على الكل تعطل التفكير وتصنع مناخا عاما من الغفلة واقتناعا وقتيا بأن هذه الدنيا هى كل شىء .

ويظل الكل سادرا فى الغفلة حتى تأتى لحظة الموت ولا تعود هناك رجعة .

وما أقرب ذلك الموت منا جميعا .

وما أشبه الزمن بوهم .. الماضى فيه عدم والمستقبل خيال والحاضر مجرد خيط مفترض بين الوهمين .. وحركتنا عبر هذا الخيط هى أسرع مما نتصور فما تلبث سنوات العمر ان تصبح ماضيا معدوما وما تبقى لنا من أيام العمر مستقبلا موهوما .. ثم يفاجئنا الموت ولا يبقى شىء يقال .

هلا دعا كل منكم نفسه لوقفة تأمل قبل أن يرفع يده ليرتكب جريمة أو يقسو على انسان أو يختلس أو يسرق أو يأكل مال يتيم أو يظلم أرملة أو يشهد زورا أو يقتل بريئا .

هلا نظر كل منكم إلى أبعد من أنفه واستشرف إلى أبعد من مواقع قدميه وتخطى مصلحته وتجاوز لحظته ؟

وأتوجه بهذا للكبار قبل الصغار .

وأرجو أن يترجم عنى هذا الرجاء بكل اللغات إلى الآحاد الذين يحكمون العالم ويتربعون على مصائر الملايين ويتصرف كل منهم وكأنه الرافع الخافض والمعز المذل والمحيى المميت .. لعله يتوقف هو الآخر لحظة ويفكر هنيهة قبل أن تُسحب منه صلاحيات التصريف ويصبح أثرا بعد عين وهيكلا لشىء تحت التراب .

ولا يظن أحدكم أن حظه من القوة والجاه والشهرة والمال والعلم والفن

هو مقياس عظمتـه .. فالله سبحانه حينما امتدح نبيـه قال له .. « وإنك لعلى خلق عظيم » .. لم يقل لـه وإنك لعلى علم عظيم أو فن عظيم أو ثـراء عظيم أو جـاه عظيم أو شهـرة عظيمـة .. وإنما قرن العظمـة بـالخُلق على وجـه التحديد وبالخلق وحده .

ونعلم الآن مبلغ الدقـة فى هذا التـوصيف فنحن نرى الآن علماء لا نشك فى درجاتهم العلميـة ونعلم مع ذلك انهم لصوص ومـرتشون وانتهـازيون ومنافقون وعباد مناصب .

وأكبر فنـانى عصرنـا أجـرا وأوسعهم شهـرة أمثال مـادونـا ومـايكل جاكسون هم أفسدهم سيرة وأحطهم أخلاقا .. وكذلك كان أكثر الفنانين فى كل العصور أمثلة بالغة للفسوق والانحلال .

والثراء دائما كـان لصاحبـه مفسدة وكـانت الملايين لأهلهـا مضيعة .. وكان الجاه غرورا والقوة تسلطا والنفوذ غطرسة .

فلا يصلح أى شىء من هـذا مؤشرا للعظمة .. ولا عاصما لصـاحبه من عذاب الآخرة .

وانما المؤشر الوحيد للعظمة هو حسن الخلق وهـو العاصم الوحيد يوم لاينفع مال ولا بنون .. ويوم يقف الانسان عاريا إلا من عمله .

وأهل الخلق هم أهل التقوى وهم أهل الخشية لله وهم أهل الدين .

وهنرى برجسون لم ير للأخلاق أصلا ومنبعا سـوى الدين فى كتـابه : « الدين منبع الأخلاق » .

والمتصوفون جعلوا من الأخـلاق محور مجاهداتهم ورياضـاتهم ورأوا فيها صراطهم الوحيد الموصل الى الله بالاضافة الى العبادة والتوحيد واتقان العمل .. واتخذوا للنفس المذنبة سلما ترتقى عليه يبدأ بالتخلية (أى التخلية من الـذنوب وهجـر المخالفـات) ثم التحليـة (بالـذكر والتسبيح والتـزام الطاعات واتقان العبادات وعمل الصـالحات) .

ولهم فى ذلك أحوال ومقـامات ومنازل ومـراق تدور كلهـا حول التخلق بمكارم الأخلاق .

ويقولون إن التخلق هو السبيل إلى التحقق أى التحققق با لمعرفة الإلهية على وجه التحقيق .. وتجلى الكمالات الأسمائية على الذات العارفة فى ذروة قاب قوسين أو أدنى .. وذلك عندهم منتهى القرب وغاية المنى .

والأديان اتفقت جميعها على ضرورة الأخلاق .. وألواح موسى كانت معظمها وصايا خلقية .. والوصايا العشر فى الانجيل وصايا خلقية .. والقرآن هو المنهج الخلقى المفصل المحكم المهيمن عليها جميعها .

وبدون أخلاق لا اسلام ولو اكتملت الشعائر واتسقت المناظر والمظاهر.. فالتقوى هى جوهر الدين بلا خلاف.

وفى عصر الظلم والعدوان والبلطجة الذى نعيش فيه والحرب التى يقودها الغرب لإبادة المسلمين فى حملات الحقد والكراهية التى تجرى أمامنا لا أرى إلا كراهية تتأجج فى قلوب هؤلاء الناس ولا أرى إلا علوا واستكبارا وعنصرية وكفرا بواحا .

ولا أرى مسيحية على الاطلاق بل أرى صليبية يهودية لا تؤمن بشىء سوى السيادة لنفسها بأى ثمن .

وقد تغلغلت هذه الصليبية اليهودية الى جميع مقاعد صنع القرار وراحت تتآمر وتفسد وتؤلب الفئات والطوائف والأجناس والأديان بعضها على بعض .. وتستخدم الآلة العسكرية الأمريكية فى إثارة الحروب .

وسوف يحيلون الأرض إلى جهنم ولكنهم سوف يكونون وقودها فى النهاية ..

ولن ينتصروا أبدا ولن يصلوا إلى غايتهم .

ويقول ربنا عنهم :

« إنْ فى صدورهم الأكبر ماهم ببالغيه »

أى أنهم لم يبلغوا تلك السيادة التى يخططون لها ولن يحققوا ذلك الكبر الذى يملأ صدورهم .

ولكنهم بسبيلهم إلى تلك الغاية سوف يملؤون الأرض عذابا ويشعلونها فتنا .

ونرى الآن مشاهد مستفزة من تلك الفتن وقد اتخذ الصهاينة من النسر الأمريكى مركبا ومن الحلفاء الأوربيين أعوانا .. ولسوف يجلبون الخراب على أمريكا ويأتون على بنيانها من القواعد .

وسوف نرى ذلك بأعيننا فى السنوات القليلة القادمة وقبل أن ينتهى القرن .

ولكننا لن نرى ذلك من مقصورات المسرح بل سنكون نحن المسرح نفسه .. وسنكون التاريخ .. وسنكون القدر والمقدور .

وأكاد أسمع كلام الله وكأنما يوجهه إلى الفلسطينيين المجاهدين اليوم « فلا تهنوا وتدعو إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ».

ولا شك أن مصيبة العرب كلهم هى ذلك الوهن الذى أصابهم والذى ذكره الله فى الآية وهو يقول جل من قائل :

« فلا تهنوا و تدعو إلى السلم وأنتم الأعلون » .

(٣٥ ـ محمد)

أى لا تستسلموا لذلك الوهن ولا تذعنوا للباطل وأنتم أهل الحق وأنتم الأعلون وهم الأسفلون وإن كانوا أكثر قوة وأكثر عدة ولكن الله معكم ولن يضيع ثواب من يجاهد منكم ولن يضيع عمله .

ومرة أخرى أقول لإخواننا الفلسطينيين : لا توقعوا على مذلة ولا تبصموا على غبن .. فهم لا يريدون لكم سلاما ولكنهم يريدون استسلاما .

وأنتم جميعا ظهوركم الآن إلى الحائط .

وأى تنازل آخر سوف يعنى خروجكم من دائرة الوجود بالكلية .. وانظروا ماذا تصنع الأمم المتحدة بإخوانكم فى البوسنة .

ان آخر ما قاله لورد أوين وسيط السلام إلى مسلمى البوسنة :

ليس أمامكم الا قبول الأمر الواقع .. وإذا لم توافقوا فإنا سوف نقطع عنكم المعونات الغذائية وسوف نسحب قوات الأمم المتحدة .

وهذا كل ما تقدمه الأمم المتحدة ورسل السلام الى الحفنة الباقية من المسلمين المحاصرين بين مطرقة الصرب ونار الكروات .

ولورد أوين وسيط السلام اليهودى لايفكر فى أن يضغط على الصرب أو على الكروات .. بل كل ما يفعله من نجدة هو أن يضغط على رقاب المسلمين ويهددهم بالموت جوعا هم وأطفالهم إذا لم يقبلوا التسليم بالأمر الواقع . .

وهذا هو سلامهم .. إنه الذل الأكثر مرارة من الموت .. فلماذا الوهن .. ولماذا هذا التخاذل ؟!

أحبا فى دنيا لاتساوى شيئا ..

أحبا فى لقيمات مغموسة فى الذل ؟

لقد سألوا النبى عليه الصلاة والسلام عن الوهن الذى جاء فى الآية الكريمة .. وقالوا له : وما الوهن يارسول الله .. فقال الصادق الأمين : هو « حب الدنيا وكراهة الموت » .

وهذا حال أمة المسلمين كلها اليوم .. فى كلمتين .. هو حب الدنيا وكراهة الموت .

ولن يتبدل حال تلك الأمة الا حينما يظهر فيهم أولو العزم .. والعصبة أولو القوة .. التى تبيع دنياها بآخرتها .. ولا ترى فى تلك الدنيا شيئا يساوى المذلة من أجلها .

وهانحن أولاء بدأنا بالكلام عن الآخرة وانتهينا إلى الكلام فى الدنيا .. وهل يختلف الاثنان ؟

أليسا وجهين لحقيقة واحدة .. هى نفوس تبتلى هنا وتثاب هناك .. وهى ما بين زمن ضائع اسمه الدنيا ، وخلود أبدى اسمه الآخرة .

الدين الجديد
الذى يدعون إليه

هناك اتفاق غير مكتوب بين دول الغرب تقوده أمريكا نحو دين جديد عالمى اسمه : الديمقراطية وحقوق الانسان .. يحل محل الاديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم أعداء (هكذا يظنون) وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .

والاسلام على رأس الاديان المتهمة بإثارة العداوة والبغضاء والحرب على الحضارة العلمية الجديدة وهو على رأس قائمة الأديان المرشحة للزوال .

وقد صنعوا نماذج يخيفون بها كل من تحدثه نفسه بالإسلام أو بالحكم الاسلامى .. وهذه النماذج هى افغانستان التى يتقاتل فيه القادة الاسلاميون حكمتيار وربانى وشاه مسعود ويتبادلون الصواريخ فى كابول بعد أن استقرت اقدامهم وهزموا الشيوعية ورفعوا راية الاسلام هو الحل .. فاذا بها فى الحقيقة راية دموية اسمها : الاسلام هو القتل .

ومن هذه النماذج أيضا .. الجبهة الاسلامية للإنقاذ فى الجزائر التى ركبت الموجه الديمقراطية لتصل إلى الحكم فلما فازت بالأغلبية رفعت شعارات ضد الديمقراطية ..وأعلنت أن الديمقراطية كفر .

ثم كل ارهابى يفجر القنابل ويقتل الناس يسارعون فيضعون على صدره بطاقة « الاسلامى الأصولى » ويجعلون منه نموذجا لإسلام المستقبل ، ومعظم هؤلاء الارهابيين من صناعتهم ومن تربيتهم .. وربانى وحكمتيار وشاه مسعود وعبد الرشيد دوستم وراء كل واحد منهم دولة تموله وتسلحه وتدفعه ليظل الصراع الدموى مشتعلاً .. وليظل الاسلام موصوما بالعدوان والبربرية والتخلف والعجز .. والتناحر القبلى والطائفى فى افغانستان وراءه أموال ترعاه وتنفخ فى ناره كلماخبت زادتها سعيرا

لتظل القوى الاسلامية أحقادا مشتعلة يأكل بعضها بعضا .. وليظل النموذج الاسلامى المخيف قائما أمام كل من تحدثه نفسه بالاسلام .

ونسأل ـ ومن حقنا أن نسأل ـ عن هذه الديمقراطية وحقوق الانسان التى يريدون أن يجعلوا منها بديلا يوحد الناس ويجمع أشتات العالم .

ماهى تلك الديمقراطية التى يريدونها لنا . إن يلتسين أحرق البرلمان وسجن النواب وصادر الصحف وحل الأحزاب المعارضة وحل المحكمة الدستورية العليا التى تراقب دستورية القوانين وطالب برلمانات الأقاليم أن تحل نفسها وأعلن الأحكام العرفية وأطلق مخابراته تفتش الناس فى الشوارع .. فماذا فعل الغرب الديمقراطى ؟!..وماذا كان تعليق المتحدثين الرسميين فى انجلترا وفرنسا وأمريكا .. لقد رفع الجميع قبعاتهم وهللوا وأيدوا ..وقال كلينتون : إن الرجل يسير فى الطريق الصحيح إلى الديمقراطية !.. شىءعجيب .. عن أى الديمقراطية يتحدثون ..عن الديمقراطية يتحدثون أم عن مصالحهم ، لقد صادف تخريب روسيا هواهم فهللوا وصفقوا وأيدوا وقالوا: نعم روسيا تسير فى طريق الديمقراطية . وهل هذه الديمقراطيةهى التى ستوحد العالم . وحينما يقتل جندى أمريكى واحد فى الصومال ويوضع طيار واحد فى الأسر يرتفع ألف صوت فى أمريكا يصرخ بالتهديد والوعيد ويذكر بحقوق الانسان .. وتتحرك البوارج والدبابات وحاملات الطائرات وتنصب النيران من السماء على الشعب الصومالى الجائع العريان . وحينما يقتل مائتا ألف مسلم فى البوسنة وتغتصب ستون ألف أمرأة ويشرد ٢ مليون لاجىء يلزم الجميع الصمت ، ولايخرج من امريكا صوت ولا يصدر قرار باستنكار ماجرى لحقوق الانسان ولاتقلع طائرة ولاينطلق صاروخ واحد ليحمى حقوق الانسان .. عن أى حقوق انسانية يتحدثون ؟! ونسأل ومن حقنا أن نسأل.. أهذه هى الديمقراطية وحقوق الانسان التى تبشر بها امريكا والتى يرشحها الغرب ويختار ها العلمانيون لتحل محل الأديان الموجودة التى تفرق الناس وتجعلهم اعداء ؟! وتجعل العالم محلا لصراعات لاتنتهى .. والمقصود طبعا هو الاسلام .. والمطلوب محوه من قائمة الأديان السماوية

هـو الاسلام ..فهـو وحده الـذى يضمر العـداء .. وهو وحـده الذى ينـوى الخراب للعالم وهو اتهام مثل قـول البعض ان محاكم التفتيش فى العصور الـوسطى هى المسيحيـة التى دعـا اليها المسيح .. وهـو ليس اتهامـا وانما تشنيع ظالم وسـوء نية وخلط فكرى وهـذا هو عالم اليـوم .. مسرحا للظلم والفـوضى الفكـريـة وتسـابق فى خلط الأوراق .. ومحاولـة لمحـوالأديـان واتهامها بما ليس فيهـا للخلاص منها . ولـن تصلح الديمقراطيـة دينا ولا حقوق الانسـان ملة لأنهم يجعلـون منها ثيابـا فضفاضـه يفصلونها على هـواهم ويقيسـونها على مصـالحهـم . فـديكتـاتـوريـة يلتسين هى عين الديمقراطية لأن خراب روسيا وانقيادها يروق لهم . وسيظل دين الاسلام الذى أنـزله الله هـو الحل لأنه لايتبع الهوى ولايحابى جنسـا على جنس ولا لـونا على لـون ولاقومـا على قوم .. فقـد جاء الاسـلام وجاء محمـد رحمة للعـالمين وليس رحمة للشرق الأوسط أو الجزيرة العـربيـة وحدهـا . ولأن الاسـلام يعنى القيم والمثـل والاخلاق ولأنه يأمـر بالعـدل ويحمى حقوق الانسان من قبل أن يعرف الاوروبيون هذه الحقوق .. وبدون القيم وبدون الاخلاق لن تقوم للـديمقراطيةقائمةولالحقـوق الانسان وجود ولن تصلح أى من هـذه النظم الـوضعية بـديـلا للـدين . ولأن الديـن يقو ولايصدق عمل دون أن تصدق النية .. فلن يكون للدين بديل و أن يحل محله .. لأن النيـات لامكان لها عند الماديين فهـى عندهم عيب وهم لايعبـأون الا بالظاهر ولايعمـلون الا للظـاهر . والاسلام اعطانا الخـلود واعطانا الآخرة ووعدنا بالجنة الابـدية . فماذا وعدونا هم سوى الكوكاكولا والهامبورجـر والجينز ومـادونا وجاكسـون وسائرالمتع المنحلـة ثم عمر قصير ينتهى بالموت والتراب .. ولنا روح لاتفنى هى نفخـة الله فينا ولنا رب لايموت فماذا تعد أحزابهم العلمانية أتباعهـا سوى الغرور والمغانم الوقتية واحلام السيطرة الزائفة وماذا عنـدهم سوى المال الزائل والحظوظ الفانية .. ومرحبـا بالديمقراطيـة الصحيحة ونحن نهتف معهم لهذه الديمقـراطية ونسعى اليها ولكنها لن تصلح بديـلا لديننا وانما هى مجرد شرعة تستقيم بها دنيانـا وهى بعض مـايأمر به اسـلامنا وهى بعـض أعمدته التـى أقام

عليها عمار الأرض وصلاح المجتمع . والإسلام يجمع لنا حسنات الدنيا وحسنات الآخرة .. وهو الغذاء المتوازن للروح والجسد والاشباع الكامل لتركيب الانسان الجامع بين تراب الارض ونورانية السماء . وستظل كل النظم الوضعية من اشتراكيات ورأسماليات وديمقراطيات وديكتاتوريات كيانات ناقصة فى حاجة إلى زرع ضمير وزرع قيم وزرع أخلاق لتعيش وستظل كمريض الفشل الكلوى فى حاجة الى غسيل دم وفلترة سموم دورية متكررة لتستمر ؛ لأنها لاترى فى الانسان الا جسمه وحاجاته المادية ووجوده العابر .. ولاتبصر روحه ولا تعترف بالذات الالهية التى نفخت فيه تلك الروح . ونعترف معهم أن اكثر المسلمين متخلفون رجعيون كسالى ، ولكننا نقول إن تلك الكثرة المتخلفة لاحظ لها من الاسلام إلا الاسم والبطاقة.. وأنها ليست حجة على الاسلام ولكن الاسلام هوصاحب الحجة عليها .. ونقول ان الله امتحن المسلمين بالدنيا ليميز الخبيث من الطيب.. وقال إن اكثر الناس لايفقهون، وأن أكثرالناس لايؤمنون . وقال عن المؤمنين : « وقليل ما هم» وسيظل الاسلام تحديا مستمرا لكل ماتقدم العقول من بدائل . والاسلام يحتوى على الديمقراطية ولا تحتوى الديمقراطية عليه كما يحتوى على كل ماقالوا من حقوق الانسان وعلى أكثر مماقالوا .. بل ان ثورة الحفاظ على البيئة وعلى التنوع الحيوى التى يقول بها مثقفوهم الآن هى أصل من أصول الاسلام .. لان الأرض وماعليها ميراث المسلم وهو مسئول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تنميتها مثل مسئوليته عن ميراثه والتاريخ يقول ان المسلمين كانوا مسالمين وان العدوان دائما كان يأتى من الأطراف الأخرى .. حروب الاستعمار والحروب الصليبية.. هم الذين أعلنوها والغزو الثقافى والفتن الشيوعية هم الذين روجوها ، والإبادة التى تجرى للمسلمين فى أوربا حاليا هم وراءها وهم مدبروها .

ومازال التاريخ يحكى.. ومازال المسلمون يتلقون الرصاص عن يمين وعن شمال .

عن السوق الشرق أوسطية

المتفائلون يقولون إن السوق الشرق أوسطية والانفتاح على اسرائيل سوف يأتى بنهر من الاموال والمعونات والدولارات والخير العميم لمصر وان

علينا ان نفتح أذرعنا بلا تفكير ونتعامل مع تلك الفرصة المتاحة بدون عقد وندع مخاوف السياسة ووساوس الدين وراء ظهرنا ونفكر بذهن اقتصادى محايد وبأسلوب علمي موضوعي.. فهذا مشروع مارشال آخر فى الطريق وسوف ننهض كما نهضت المانيا فى سنوات قليلة.

وعن التنافس مع اسرائيل فى ظروف غير متكافئة يقولون:

إذا كان فى اسرائيل علماء فعندنا علماء نوابغ فى كل فرع ويكفى أن نذكر أحمد زويل المرشح لجائزة نوبل فى أمريكا والدكتور مجدى يعقوب الذى حصل على لقب «سير» فى انجلترا .. وغيرهم وغيرهم فى كندا وفى اوربا وفى كل مكان .

وأقول لهم: نعم هذا حدث ولكنكم نسيتم أين تفتحت مواهب هؤلاء وأين نبغوا.. انهم ظهروا ونبغوا حينما هاجروا إلى امريكا وانجلترا وعاشوا فى مناخ مختلف .

إن مصر مليئة بالمواهب والعبقريات هذا صحيح ولكن المناخ العلمى والاجتماعى فى مصر سيىء ومتخلف والبروقراطية والسرطان الحكومى والشللية تجثم على أنفاس الناس وتكبل مواهبهم.. كم من الأموال ترصد للجامعات والشركات الكبرى للأبحاث.. مبالغ لاتذكر.. بينما هى فى امريكا وأوربا واسرائيل مليارات..لقد اصلحوا مرصد هابل فى الفضاء بمليار وخمسمائة ألف دولار بينما مرصد القطامية معطل على الارض من سنين على مبالغ تافهة لاصلاح مرآته ومازالوا يجتمعون وينفضون بدون حسم.. وبدون نتيجة.. والقبة السماوية فى أرض المعارض عندنا انهدمت على مافيها لم تتحرك يد لبنائها وتجديدها.

وكل شيء يجرى فى حركة بطيئة سلحفائية لاتلبث أن تتوقف فى اختناقات ومعوقات لاآخر لها .

والوعود بإصلاح البروقراطية مازالت كلام جرائد والقضاء على البلهارسيا فى مصر أسهل الف مرة من القضاء على البيروقراطية.. ومع ذلك مازالت البلهارسيا موجودة منذ خمسة آلاف سنة. وهناك كارثة حقيقية فى التعليم وتخلف فى المناهج وبدائية فى المعامل والمختبرات وتكدس وازدحام فى الفصول والمدرجات يمنع من تحصيل أى فائدة .

إن البنية الاساسية للعلم والبحث تكاد تكون غير موجودة.

ونحن فى حاجة أولا إلى اصلاح البنية الأساسية للعلم لندخل فى أى سباق.

وللأسف نحن نهتم بالكورة أكثر .. وقد انفقنا ثلاثمائة مليون دولار على الدورة الاولمبية الإفريقية بدون عائد سوى السمعة الكروية الكاذبة..

إن التفكير السياسى فى بلدنا يجب أن يتغير والأولويات يجب أن يعاد النظر فيها .

ولاتوجد أولوية قبل التعليم والبحث العلمى إذا أردنا أن ندخل هذا العصر وأن نسابق سنغافورة ولا أقول اسرائيل .

ولست ضد السوق الشرق أوسطية ولكن علينا أن نمتلك أدوات اللعبة قبل أن ندخلها ولا نفرط فى حسن الظن ،فإسرائيل تريد مصلحتها بهذه السوق قبل مصلحتنا.. والفلسطينى والسورى واللبنانى هم عمالقة التجارة وحيتان السوق وقد هزمتنا لبنان فى سوق الكتاب وكانت بيروت عاصمة النشر وعاصمة الكتاب العربى حتى وهى فى غمرة الحرب الأهلية.. والكتاب فى لبنان كان يتحرك فى سهولة أكثر لينتشر فى العالم بأسرع مما يتحرك الكتاب فى مصر حتى ولبنان تمطرها الصواريخ.. وهؤلاء ومعهم أسرائيل هم المنافسون الجدد الذين سننافسهم فى السوق الشرق أوسطية .

لماذا لانتجه غربا الى ليبيا وجنوبا الى السودان فهناك ثروات بكر وغابات غنية ومساحات فلكية وفرص للاستثمار وأسواق بلا حدود.

ولماذا نقف على البوابة الامريكية لانبرحها.. لماذا لانتحرك دبلوماسيا نحو الصين..إن اسرائيل ترابط هناك منذ عشر سنوات وزيارات الخبراء والوزراء وأصحاب الشركات الاسرائيلية لاتنقطع.. وقد تحدثت الصحف اخيرا عن التكنولوجيا المتطورة التى تسربها اسرائيل الى الصين كرشوة محبة وعربون صداقة منذ أكثر من عشر سنوات .

لقد أدركت اسرائيل أن الصين هى نجم الشروق المقبل فرابطت على بابه ووقفت فى رحابه.. بينما وقفنا نحن على العتبة الامريكية لانبرحها .

إن السياسة المصرية فى حاجة إلى اعادة نظر فى كل شىء..وتوجهاتنا آن لها أن تتغير.

● ● ●

مأسـاة مسلمى البوسـنة

توارت أحداث البوسنة خلف حريق برلمان روسيا ومذبحة الديمقراطية فى موسكـو ومذبحة الجنود الامـريكيين فى الصومال وصراع بى نظير بـوتو ونواز شريف فى باكستان وأخبار الـزلازل والأعاصير والسيول فى كل مكان ثم عادت تطل برأسـها الدامى الرهيب من جديد .

وقرأنا عـن الفظاعات التى يرتكبها الكـروات وكيف أنهم يقيدون أسرى المسلمين بأحـزمـة من الـديناميـت والمتفجرات ثم يضعـونهم فى مقـدمـة جيـوشـهم الزاحفـة ليكـونوا دروعـا واقيـة لعدوانهم وكيف أنهم يمـلأون الخنادق بـالألغام ويضعـون فيها الأسرى المسلمين لتحميهم إذا تـراجعوا وقد تفـوق الكروات على الصرب فى البشاعـة والحقد وقرأنـا عن اغتصابهم لعجـائز النساء والأطفـال إمعانـا فى الاهانـة والاذلال بعد أن كـانوا رفـاق السلاح بالأمس .

ثم بعـد ذلك يلوم البعض الـرئيس المسلم عـزت بيجوفتش لأنـه رفض التقسيم ، وشرط قبوله بإعادة الاراضى المنهوبة وتقديم الضمانات الدولية التى تضمن التنفيذ ، وقولته المشـهـورة: نموت واقفين أفضل من أن نموت راكعين.. وهى قولة بطل.

لقـد تأسف كلينتـون لهذا الشرط الـذى وضعـه المسلمـون لقبـولهم للتقسيم.. وعجبت لأسفه.. فماذا كان يريـد منهم أن يفعلوا.. وهل هو معهم أم عليهم ؟!

وذكرتنى بطـولة المسلمين البـوسنويين بموقـف الصوفى المسلم الشيخ نجم الدين الخوارزمـى حينما دخلت جيوش التتار خـوارزم ، فدعـا الناس للصلاة جماعة ثم قال لمريديـه : قوموا نقاتل فى سبيل الله ودخل بيته فلبس خرقة شيخه وحمل على العدو فرماهم بالحجارة ورموه بالنبل وجعل يدور ويرقص حتى أصابـه سهم فى صدره فنزعه ورمى بـه نحو السماء وتفجر دمه وهو ينشد مخاطبا مولاه:

إن أردت فاقتلنى بالوصال أو بالفراق.

وفى كتـابه «فـواتح الجمال وفـواتح الجلال» يـروى الدكتـور يـوسف زيدان حياةهذا الصوفى الـذى يعده أعظم رجال التصوف السنى فى المشرق الاسلامى.. ولمن يريد أن يعرف المزيد عليه أن يبحث عن الكتاب.

وهؤلاء هم المسلمون الذين أحبوا لقاء الله فتسابقوا سابحين إليه فى أنهار من دمائهم.

وما أراد الله بالقدر الدامى الذى يجريه فى البوسنة إلا ليضرب لنا مثلا وليشهدنا ويشهد الدنيا..

لماذا خلق الجنة ولمن خلقها.. ولماذا خلق النار ولمن خلقها.. وليشهد ملائكته على أحبائه وليقول لهم: اكتبوا أن هؤلاء أحبائى وانا وحدى القادر على مثوبتهم ومن أجلهم خلقت جنتى وأن هؤلاء أعدائى المبغضون ومن أجلهم خلقت نارى.

واذا كانت أوروبا وامريكا تخشى الاسلام وتجعل منه عدوها الأول.. فلأنها ترتجف رعبا من هذا الايمان .. ومن هذه المثل البطولية التى لاتدرى كيف تتعامل معها بالدولارات .. إنها تخشى هذه الطاقة الاسلامية الكامنة.. ولاتخشى واقعا عدوانيا.. فالمسلمون فى الحضيض ولايملكون تهديد بعوضة.

وأقول للحكومات الاسلامية المتقاعسة عن نجدة الاخوة فى البوسنة الذين لم يطلبوا منهم إلا المال والسلاح.. وفى اجتماع الدول الاسلامية الأخير لم يطلب عزت بيجوفتش إلا مائتين وستين مليونا من الدولارات (ثمن قصر صغير من قصور الترف العربية وآخر قصر فى لندن يبنيه ثرى عربى بتكلفة ٧ مليارات من الدولارات).. ومع هذا لم يظفر عزت بيجوفتش من الكرم العربى بأكثر من خمسين مليونا من الدولارات.

وعجلة الزمن تدور.. وتوشك الستار أن تسدل على الابطال الصامدين فى الميدان وأقول للحكام العرب:

ادفعوا لتنجدوا أنفسكم من أهوال يوم عظيم فإنكم أمام إله لاينسى.

ادفعوا قبل أن تسدل الستار ثم لايبقى لكم إلا الندم.

انجدوا أخوانكم فى خندق الموت قبل أن تلحقوا بهم والموت أقرب الى كل منا من شراك نعله.. وما الدنيا بزخرفها إلا ديكور من الخرق الملونة وأوراق اللعب.. وغدا ينهد السامر ويتفرق السيرك الى حيث لاتنفع صلاة

ولاصيام ولا ينفع إلا قلب سليم من الغش ، خال من النفاق وأيد صدقت وعملت وجاهدت فى سبيل كلمة الله .

وأخيرا حيث لا أحد يقرأ ولا أحد يسمع وقد وضع الكبار القطن فى آذانهم.. فإنه لم تتبق الا الشعوب.. لم تبق سوى كلمة الشعوب .. الف مليون مسلم يمكنهم مباشرة المقاطعة الفعلية لمنتجات هذه الدول .. وسوف يجدون البديل الجديد فى السلع اليابانية والصينية والكورية، فى كل مايحتاجون اليه فلا يشترون فتلة من المنتجات الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية أو الامريكية أو الصربية .

أنهم يمكن أن يثبتوا أن لهم وزنا وأن لهم كرامة.

وأغنياؤهم يمكن أن يعطوا المال.

وضعفاؤهم يمكن أن يخروا ساجدين ويرفعوا الأيدى بالابتهال والدعاء.. ويصرخوا الى الله داعين كما دعا موسى على فرعون وقومه:

« ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ».

فليسجد ضعفاؤنا باكين متضرعين متوسلين بجميع قلوبهم :

ربنا زلزل بنيانهم وامحقهم عددا وبددهم بددا واحجب عنهم علمك وامنع عنهم فضلك واقدر عليهم رزقك.. ربنا وعاملهم باسمك العلى الجبار المتكبر المنتقم المهيمن المذل القابض المميت.

ربنا ياناصر المستضعفين ومجيب دعوة المضطرين .. انصر هذه القلة الثابتة الصابرة المصابرة المقاتلة من مسلميك فى سرايبفو وفى أنحاء البوسنة وايدهم بجنود من لدنك.. فلا إله إلا انت سبحانك ولا احد يعلو عليك..

إن اعداءنا قد بغوا علينا بقوتهم ونسوا قوتك وحسبوا حساب كل شىء إلا وجودك.. فذكرهم يارب بأيامك.

ادعوا من قلوبكم يا أخوة موقنين بالاجابة.. فليس بين دعوة المظلومين وبين الله حجاب .

الغزاة

الجدد

اللافتـات وأسماء المحلات فى الشـارع المصرى تكاد تختفى منهـا اللغة العـربيـة وحيثما ذهبت بعينك لاتـرى الا أسماء فرنسيـة أو انجليـزيـة أو ايطاليـة .. على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كـونتيننتال .. روستوران أورينتـال .. بوتيك شارم .. بيتـزا ايطاليانو .. عصير مـادونا .. حلـوانى دليشس .. كافيـه كابتشينـو .. أيس كريم تـاون .. كويك فـود .. كوافير رومانتيك .. عجلاتى كويك رن .. ميكـانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. تـرزى شيك .. أزيـاء مـودرنـا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هـذا أبـدا فى المساجد .. وانما تجد الأسماء العربية والعـربية الفصـحى .. مسجد الرحمة ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسجـد الرضوان .. ومسجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسجد المغفرة .

الاسلام هو الـذى حفظ هوية المنطقة .. وهـوالذى مازال يضبط النطق العربى .. وفى هـذه الفوضـى من التفـرنج والاغتراب كان المسجد هـو مؤشر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

ومازلت أعتقد أن الـدين هو الذى حفظ المنطقة مـن الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون .

وكان من نتيجة هذا العامل الـدينى الضابط للايقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمـر هو الذى يتلـون باللون العـربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجـة المصريـة والنكتـة المصريـة والأكلة المصريـة ، ونـذكـر أن الاسكندر حينما غـزا مصر لم يستطع أن ينقل اليهـا آلهة الأولمب اليونـانية وانما على العكس البسه كهنة سيوة ديانـة آمون وخرج من معبد سيوة على اعتقاد انه ابن الالـه المصرى الذى حبلت به أمه المقدونيـة .. وكلها أدلة على

سلطان الدين وقوته فى مصر .. وأن مصر تصبغ الـذى يغزوها رغم مايبدو فى ظاهر الشارع المصرى انها هى التى تصطبغ بلونه .

والحقيقـة ان الغـزو الثقـافى رغم ضراوته لم يتجـاوز القشرة الـرقيقـة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمـام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضـور الاسلامـى يفرض نفسه هذه الأيام ونحـن نرى الآن الهوية الاسـلاميـة تملأ الساحـة بكل درجـات الطيف من الحضـور الاسـلامى الواعى والمستنير الى التشـدد والتطرف الى الهوس الى الاغـراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات الى الجنون والفوبيا الدينية ..

والهوس والتـدين الشكلى والنقاب والقفـازات والعباءات السـود هى فى نظرى غـزو ثقافى آخـر مضـاد وهو أجنبى عنـا وعن اسلامنـا بقدر غـربة وأجنبية العرى الفرنسى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الاسلام مـن داخله مثلما أن الثقافات الامريكية المنحلة هى سلاح مسدد لهدم الاسلام من خـارجه.. والفرق انه غزو للبيت من بابه.. غزو يستعمل نفس الأبجديـة الاسلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب.. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم.. ولا اله إلا الله..كما نقول.

وجماعة البـلاليين فى أمريكـا (نسبة إلى بـلال) الذيـن يركبـون البغلة اقتداء بـالرسـول عليه الصلاة والسلام ويأكلـون بأصابعهـم ويقضـون الحاجة فى الخلاء.. هم نمـوذج آخر من هذا الهراء الـذى يسىء إلى الاسلام ولمعنى السنة المحمديـة، فالنبى عليه الصلاة والسلام لم يتميـز عن اقرانه بركـوب البغال ، فالكل كـانوا يركبون الـدواب وكانوا يقضـون الحاجة فى الخلاء وكانـوا يأكلون بأصابعهم.. وإنما تميـز وانفرد بالصدق والأمـانة والشجاعـة والشهامة والتقوى ومكـارم الاخلاق.. وفى هذا يكـون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالاصابع وفى قضـاء الحاجة فى الخلاء.. وليس فى ذلك السخف أى سنة وانما هو غزو ثقـافى مضـاد يستخف بالاسلام ويهزأ من السنة ويضحك على العقول.

وكل هذه التيارات المتناقضة تموج بها دوامة الشارع هذه الأيام.

ولايـدرى بعض دعـاة الاسلام أنهم دعـاة ضـد الاســلام من حيث لا يشعرون.

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس .

ولا ننسى الغــزو الاخـر الجهير القــادم من الشمال فى سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغنـاء الـديسكـو ومـوسيقى الـزار والهلوسات التشكيليـة التى تدلق الألوان على اللوحـات وتسميها جماليات سيريـالية ، وتضع كـومـة من الزلط وتسميهـا نحتـا ، وتجمع زبالـة من الحديد الصدىء وتسميها تمثالا.

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعـر .. والمذاهب الجديدة فى النظم بلا نظم .. والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو وبلا اعراب .. وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة .. وقصيدة ج وأمثـالها .

ثم الغـزو الآخر الفـاجـر فى الروايـة الجديـدة لسلمان رشدى « آيـات شيطانية » الـذى تصور مؤلفها أنه أتى بـإبداع جديد فى عالم الـرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وماعبر الا عن مرضه النفسى .

ومصر بلد مفتـوح النوافذ على ثلاث قـارات : أوروبا وآسيا وافـريقيا .. وهى لا تستطيع أن تغلق أبـوابها لأنها جسر عبـور وممـر تجارى وثقـافى وحضـارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترولها ومعادنها وناسـها وتاريخـها وهى مطمع الكل .

وفيما مضـى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش .

أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشـاشة التليفـزيون .. ويحكم من داخل صندوق النقـد الدولى .. ويسيطر من خـانة القـروض والفوائد .. ويتسلل من ثغـرة التكدس السكـانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيـوش الآن جيــوش خفيـة.. اسمهـا .. الموســاد .. والـــ CIA والماسونية .. والمخدرات .. والارهاب .. والقنابل .. والمتفجرات .

والتآمر يستعمل الآن نوعا جديدا من العمالة الراقية .. هم وجهاء الناس وكبراؤهم وسادتهم وأغنياؤهم .. كما يستعمل نوعـا آخر من العمالةالدون يدربها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات .

وفى هذه الأجواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى .

وفى هـذا العصر المرعب يعيش العالم المقبل على فواتح القـرن الحادى والعشرين .

والمتابع للإخبار والقارىء للصحـف يصاب بضغط الدم والذبحة والجلطة والاكتئاب لكثرة مايقرأ ويشاهد من الانفجارات والثورات والانقلابات وعجائب الجرائم واحداث القسوة والعنف التى تشيب لها الـــرؤوس وكأنما اختفى الضمير فجأة وتحول البشر الى قطيع من الحيوانات .. وتتكلم دول كبرى عن حقوق الانسان وهى ذاتها تدوس على عنق هـذا الانسان بالحذاء .. ووسط هـذا الجنون لاشىء يمسك على الانسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتاع الملتاع سوء بقية من دين وبصيص من ايمان عميق واسلام صادق منقاد لقضاء الله وقدره واثق بحكمته المستترة الخافية من وراء كل شىء .

مـاذا يـريـدون ؟

أمريكا تثير العالم على ايران وتحاصرها بالتهم وتلفق لها الأخبار وتدفع عليها الأصدقاء والحلفاء وتحرك سفاراتها فى كل مكان .. ويبدو انها تمهد المسرح لشىء وتبيت لعدوان مخطط . ولكن السؤال : لماذا تحاول أمريكا أن تضرب ايران بأيد عربية ؟ لماذا تحاول أن تضع عدوانها فى قفاز عربى كما فعلت فى حرب الخليج ؟ .

لماذا لاتفعل ماتريد أن تفعله فى وضح النهار دون ان تتخفى خلف العباءات العربية بدعوى الانقاذ واعادة السلام والتوازن إلى المنطقة والتحذير من الارهاب .. ألخ .. ألخ .. رغم أن التحقيقات تقول كلاما آخر وتكشف عن مصادر أخرى للارهاب غير ايران ، فالخيوط كلها تلتقى عند مجموعة بيشاور ومجموعة بيشاور ، كانت تعمل بأموال أمريكا وتسليح امريكى وكانت تنفذ تخطيطا أمريكيا فى قتالها للسوفييت .. فهى مجموعة عملاء لأمريكا منذ البداية .. ثم ان كل الذين قبضوا عليهم بتهمة تفجير

القنابل وقتل السـائحين فى مصر قالـوا انهم تلقوا أوامرهـم من الشيخ عمر عبد الرحمن وهو يصدر أوامره من نيويورك وليس من طهران .

ثم ان البـاعث للقلق الأمـريكى هـذه المرة ليس عـربيـا كما كـان حينما اعتـدى صـدام على الكـويت ، ولكـن البـاعث على القلق هـذه المرة اسرائيلى صريح .. هو شوكة حماس وحزب الله التى تتوجع منها اسرائيل ويتألم لها الحليف الأمريكى .. وهـو أيضا تـراكم السلاح فى ايران وهـو أمر لاتـريده اسرائيل فى ايران ولا فى أى بلد اسلامى .

وحينما تـراكم السلاح فى تـرسانـة العـراق من قبل تحرك البنتاجـون الأمريكى كله ولعب بوش بغرور صـدام ليدفعه إلى الكويت ليضربه الضربة القاضية بدعوى تحرير الكويت بينما كان الهدف الحقيقى هو القضاء على تـرسانـة العراق وتحريـر البترول من اليد العـربية واعـادته الى السيطـرة الأمريكية وامتصـاص فوائض الثروة العربيـة من المنطقة وتركهـا فريسة الثأر والأحقاد والكراهية والجراح التى لن تلتئم لمائة سنة قادمة .

كان الهدف اذن هو الصالح الاسرائيلى والأمريكى رغم ان الهدف المعلن كـان الصالح العـربى .. واليـوم تتكرر المسرحيـة بإخـراج جديـد ورئيس أمريكى جـديد هو كليتنون وضحيـة جديدة هى ايـران .. وليس بيننا وبين ايران ثأر .. وبعـد الدرس الذى أخذناه من حـرب الخليج والجراح والأحقاد والنـزيف الاقتصـادى بلا عـائد .. لن تجد أمـريكـا الزعيم العـربى الـذى يطاوعهـا على هذه المغـامرة الجديـدة ويحرق بلده ويـدمر أسلحتـه ويبدد ثروته فى صراع عقيم بين أهل دين واحد وملة واحدة .

ثم لماذا تصفيـة القوة الاسـلاميـة والسلاح الاسـلامى فى كل مكـان .. ولماذا الاسلام هو الهدف دائما ؟ .

واذا كـانت أمريكـا قد أحجمت عـن الضربة الجويـة للصرب دفاعـا عن مسلمى البوسنة بدعوى أن أمـريكا ليس لها مصلحة .. فلماذا نراها تخطط لضرب القوى الاسلامية الايرانية فى أقصى الشرق .

هل المصلحـة هـذه المرة أكبر وأوثق ، ومصلحـة أمـريكـا أو مصلحـة اسرائيل أو مصلحة الغرب ؟ !

ولكن أين مصلحتنا نحن .. أم أن مصلحتنا غير واردة ؟

ونحن طيبون وسُذج هذا صحيح .. ولكن ليس لهذه الدرجة .

وتاريخ أمريكا منذ نشأتها بدأ بـاغتصاب القارة الأمريكية بقوة السلاح وإبادة من عليهـا من الهنود الحمر ، وقـد ظل طول الـوقت تاريخا تآمـريا ونظامـا تآمـريا .. ومعظم رؤسـاء أمريكـا فى عصرها الحديث خـرجوا من المخابرات وكانوا مديرين نوابغ لـ CIA .. والميثاق الذى جمع بين أمريكا واسرائيل .. كـان ذلك الهـدف الواحـد . التـآمـر على العـالم والاستئثـار بخيراته .

وكلنا سمعنـا الخبر الطائر الـذى جاءنا مـن ايطاليا .. ومـا قالتـه لجنة التحقيق فى الانفجارات الأخيرة فى ايطـاليا من أن الموساد كـانت هى الطرف الذى يورد السـلاح والمتفجرات لعصابات المافيا والألـوية الحمراء .. وانها أرادت أن تثبت بـذلك لحليفها الأمـريكى انها أقدر على الـدفاع عن مصـالح البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا المليئة بالقلاقل والاضطرابات .

وأمريكـا أكثر الدول كلامـا عن حقوق الانسان وأكثر الـدول محاسبة لغيرهـا على هذه الحقـوق ، ومع ذلك نـرى منهـا وجها مختلفـا فى مأسـاة المسلمين فى البوسنة .. وكأن المسلمين الذين يقتلـون هناك ليسوا من جنس الانسان .

وما أكثر الزعماء الذين ركنـوا الى الحضن الأمريكى ثم انتهوا الى الهجر والغدر والطعـن فى الظهر مثل شـاه ايران ونـوريبجا ومـاركوس ودفـاليه وتشاوتشيسكو وصدام وموبوتـو .. والبقية آتية .. وكان الغادر فى كل مرة هو الصديق الأمريكى .

أقـول هـذا للـذكـرى .. وحتى يعلـم من لا يعلم .. أخـلاق الصـديق .. ويتحسب أخطار الطريق .

وعن السوق الشرق أوسطية مرة أخرى

كتب أمين هـويدى وزيـر الدفاع الأسـبق كلامـا مهمـا عـن السـوق الشرق أوسطيـة دق فيه أجـراس الخطـر ونبه الغـافل وأيقظ النعسـان الى المنحدر الـذى يسير فيه الجانب المصرى فى عمليـة بناء سـوق مشتركة على غير أساس .. المفروض أن تتفـق فيها أطراف عربية وأطـراف اسرائيلية هى بالفعل غير متفقة على أى شىء .. فمشروع السلام فاشل .. واسرائيل تحتل

الأرض العربيــة وتنسف البيوت وتقتــل الأطفال وتطلق الــرصـاص على أى صـوت يعــارضـها . وقال أمين هويـدى فى صدق وصراحة : إن هــذه السـوق التى نواتهـــا مصر واسرائيل هى فى حقيقتهـــا مقــامــرة بمســـتقبل مصر ومستقبل العرب الاقتصـــادى لأنها سوق مشـتركــة بين فريســـة وصياد .. بين طامع أطماعه وأحــلامه بلا حدود يــريد أن يهيمن ويسيطر ويتسلط .. وجماعــة عربيــة ممزقــة ضعيفة ومـدينــة ومحظور عليهـــا مصادر القــوة والسـلاح .

وكيف تقوم شركــة عادلة بين طــرف غاصب محتل لأرض عربيــة بدون وجه حق .. وطــرف آخر لايجد ســوى الطوب والحجـارة والصراخ فى أروقة الأمم المتحــدة .. وكيف يكون لاسرائيل فى هــذه الشركة سهم مســـاو لسـهم مصر ، واسرائيل بتعــدادهـــا الكلى لاتزيــد على سكــان حى شبرا بينما مصر ســوف تعطى الأرض والأيدى العــاملــة ورأس المال والنفط (الذى تطــالب اسرائيل بأن يصب فى مصـــافى حيفا) وأنابيــب المياه التى تريــد اسرائيل ان تشـارك فى التحكم فيهـــا .. ثم تظل رافعة لأسلحــة الدمار الشــامل وللقنابل الذرية تهدد بها الجميع .. أى شركة تلك التى يــأخذ فيها طرف كل شىء ثم لا يعطى الآخــر أى شــىء .. ثم يظل يهدده طــول الوقت بتفــوق ســاحق فى السـلاح والمعدات ؟

يقولــون هى تعطى الخبرة والعلم والهندســة الــوراثية التى تنبت الفلفل البنفسجى والفلفل الأبيض والفلفل البرتقــالى .. وأقول ذقنــا هذه الخبرة فى خيار بطعم البلاستيك .. وأكلنا دجــاجا من هذه المزارع بطعم القطن الطبى وأكلنا سـلالات من الموز تدهــورت أصنافها وأصبحت بطعم القلقـــاس ، ولا أتحدث عن الطماطم التى لا تنتسب إلى مــذاق الطماطم بسبب ، والفــراولــة الماسخة التى فى طعم قشر البطيخ .. ولا أتحدث عن اسطورة القطن المصرى العظيم الذى تحول الى محصول هامشى .. وعن النقص فى محصـول القمح الذى يضـعنا تحت أقدام منتجى القمح الأمريكى .

ولا نطعن فى الخبرة الاسرائيليــة .. معـــاذ الله .. ولكنـــا نسـأل الـــوزيــر والزراعى الهمام يوسف والى : لماذا لا ينوع فى الخبرات التى يستعين بها ؟ ، ولماذا يضـع الأرض المصريـــــة والمحـــاصيل المصريـــــة رهينـــــة للخبرات

الاسرائيلية وحـدها ؟ يقينا إن اسرائيل ليست العبقـرية الوحيـدة فى الميدان الزراعى .

والثقة التى يضعها وزيرنا فى اسرائيل لاتكفى أساساً لمشروع كبير مثل السوق الشرق أوسطية ، فنحن هنا أمام بناء أمة وسوق عالمية تشترك فيها كل الأمـم ، والمفـــروض أن يشترك مجلس الشعب ومجلس الشـــورى والمجالـس القوميـة المتخصصة ، ومصر بكل قيـادات الرأى فيهـا والبلاد العربية صاحبة الشأن فى الرأى والمشـورة .. وأن يكون هناك جو سياسى يـوحى بالثقـة واتفـاق شامل يـوحى بـالأمان .. وأن تتنـازل اسرائيل عن الأرض وعن السلاح الذرى وترفع يدهـا عن القدس .. اما أن تضع يدها على الأرض والماء والنفط وتلـوح لنـــا بأسلحـة الموت وتجعلنـــا نعيش فى جـو سياسـى مكهرب .. فتلك مشروعات ابتلاعية وليست سوقا شرق أوسطية .

وســاذج من يتصـور أن ورقـة كـــامب ديفيـد يمكّن أن تحـول العـدو الاسرائيلى فى غمضـة عين الى حبيب ، وأن تمحـو التـاريخ وتبـدل النفـوس وتغسل الأرواح .. وصــوت الرصـــاص الـذى يحصد أطفـال غزة والضفـة شاهد على صدق كلامى .

وتـرسـانة السـلاح التى تتنـامى فى اسرائيل تنبىء عن عـدو يتحفـز .. وطوابير المهاجـرين التى تتدفق تطلب لنفسها أرضا ومياهـا ومجالا حيويا تعمل فى داخله .. تعبىء الجو بـالتوتـر والتربص ولا تبدو تمثيليـة السلام التى تقودها أمريكا جادة ولا مقنعة .

وعملية سلق مشروع سوق شرق أوسطية فى هذا الجو أمر سابق لأوانه ونريد أن نفهم أولا الى أين نسير .. أو الى أين يسار بنا ؟!

المسلمون في خندق

أفكـر دائما وأسأل نفسى وأتســاءل : لماذا لم يحقق الله حلم الإخـوان المسلمين بالـوصول الى السلطة.. أليســوا رجالـه.. لماذا أطلق عليها ذئاب عبد الناصر.. ولماذا فعل نفس الشىء فى حـزب النهضة الاسلامى فى تونس فترك الغنـوشى وأتباعـه لمبـاحث زين العابـدين بن على ومن قبلـه للحبيب بورقيبة.. وفى الجزائر أحبط آمال الحزب الاسـلامى للإنقاذ وهو على وشك الفـوز بـالحكم.. وفى المغـرب لم يكن حزب العـدل والاحسـان الاسـلامى بأحسن حظا من اخوته ، وفى سـوريا وفى العراق لقى الاخوان مصيرا أسوأ على المشانق والمقاصل وفى ظلام الزنازين..

لماذا لم يستخلفهم ربنا كما وعـد فى قرآنـه : «وعد الله الـذين آمنوا منكم وعملـوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الـذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الـذى ارتضى لهم وليبـدلنهـم من بعـد خـوفهم أمنـا يعبـدوننى لايشركـون بى شيئـا » (٥٥ ـــ النـور) أم أن شروط الآيـة لم تتوافرفيهم ؟ .أكاد أرى من هذه المحنة القدرية التى تكررت مرة بعد مرة .. ان الله يفضل لـلاسلام أن يحكم من خـلال أشواق النـاس وضمائرهم على أن يحكم من خلال جماعـة تصل الى السلطة بالقوة .. وانـه يريدللمسلمين أن يسلموا اليـه أحرارا وأن يقدمـوا عليه اختيارا بـوازع من نفوسـهم وليس بوازع من كربـاج الحاكم .. يريد للاسلام أن يكون وعيـا شخصيا وفرديا لا أن يكون قالبـا اجتماعيا صنعه الرعب . لايريـد الله للاسلام أن يأتى على ظهور الـدبابات ولا أن يجى انقلابـا مثل النازية والفاشيـة والبلشفيه كما رأينـاها تأتى فى المانيـا وايطاليـا وروسيا .. وانما يـريده اقتنـاعا وايمانـا وتطـوعا ومحبـه . وقـد جـاء النبى (بلفظ القرآن) .. داعيـا الى الله بإذنـه

وسراجا منيرا . فالاسلام دعوة لاثورة واستنارة لاانقلاب . والله يعلم أن كراسى السلطة تغير الناس وتمسخ نفوسهم .. وما كان لحاكم أن يصل الى الحكم دون اذن من الله ، فهو سبحانه ملك الملوك الذى لايتم على الأرض شىء بدون مشيئته . والله يقول : « واتقونى ياأولى الألباب » لم يرد ربنا أن نتقى الحكام ولا أصحاب السلطان .. ولقد أخطأ التنظيم الأخوانى حينما تحول من دعوة حرة الى تخطيط صريح سرى ، ثم إلى تخطيط يتخذ العنف سبيلا للوصول الى السلطة .. فبدأ العد التنازلى لنهايته من ذلك التاريخ . والله يعلم أن الفضيلة لايمكن أن تأتى بقراروزارى ، وأن العفة لايصنعها مرسوم ملكى ، وأن تقوى القلوب لن يحققها دستور . والله يريد تقوى القلوب لاتقوى الألسن ولانفاق الكلمات. الله يريد أن يكون ضميركل منا هو حكومته.. ولا يريد أبدا أن تكون ضمائرنا مكبلة فى يد جبار ولو كان هذا الجبار حاكما اسلاميا ولو كان نبيا ، ألم يقل لنبيه:

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال له:

« وما أنت عليهم بجبار » .

فإذا كان الله لم يرد لنبيه أن يكون جبارا وهو الذى وصفه بأنه على خلق عظيم.. فكيف يطلق علينا باسم الاسلام جبارة من سواد البشر العاديين.

ليت أعضاء الجماعات الاسلامية فى كل مكان يكفون عن تطلعهم للسلطة ، ويكتفون بالدعوة الى الله على بصيرة.. والى تحبيب الناس فى الاسلام بأن يكونوا هم أنفسهم قدوة ومثالا وأسوة.

ولو فعلوا ذلك لاختلفت الصورة ولجنبوا أنفسهم الكثير من الفتن ولجنبوا الاسلام هذا الصراع الدامى الذى يهلك فيه الكل.

ولو أدرك الحكام أن صولجان الملك هو قبس من جهنم لما تسابقت اليه الأيدى.

ألم يعرض الله الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان؟ فماذا قال الله بحقه؟ قال:« إنه كان ظلوما جهولا ». فقد ظلم نفسه وجهل حدوده حينما تصور أنه قادر على حمل تلك

الامــانة.. وهى المسئوليـة والحكم فى الارض خليفة عن الله.. وهـو الجاهل بمقدرات يومه وغده.

أى عـــروش من جهنم يجلس عليهـا أمثـــال ميتران وجـون ميجـــور وكلينتبون ويلتسين؟؟ حينما يطلقـون جميعـا يـد سفـاح الصرب ليـدك سراييفو با لمدافع والصواريخ ويحيل سكانها الثلاثمائة ألف الى أكبر مقبرة فى التـاريخ.. ثم يضغطون على الأمم المتحـدة حتى لاتسمح للمسلمين بأى مدد من السـلاح يدافعـون به عن أنفسهم !! أى كـراسى من أصل الجحيم يجلس عليها هؤلاء الناس ليحكموا بـا لموت والحياة وليوقعوا مراسيم الظلم والقهر والبؤس والعذاب على الملايين بغير ذنب الا أنهم قالوا ربنا الله.

ويظن كل منهم ـــ وهو جاهل ـــ أنه بذلـك يعلى من شأن مسيحيته أو ينصر قوميته وهـو يخونها ويخون إنسانيته ويخون ديانتـه ويخون ربه ويهلك نفسه.

« ولكن أكثر الناس لايعلمون »

بل هم كالأنعام بل هم أضل.

والحمد الله أننـا لانجلس على هذه الكـراسى.. ولانفكر أبـدا فى الجلوس عليها.. ولا فى الاقتراب من أهلهـا.. ولا فى مداهنـة أصحابها.. ليس تـواضعا ولكن وعيا وادراكا وخوفا والحمد لله.

وأرجو أن نظل مـدركين لعجزنا وقصـورنا طول الـوقت ، وأن يديم الله علينا رحمته تلك.. فمن أعظم نعم الله على العبد أن يعرفه بحدوده.

اعــرف عــدوك

بادرت أمريكا الى تهديد الصين بفرض العقـوبات الاقتصـادية عليها اذا مضت فى صفقـة بيع الصـواريخ لباكستـان . وبـاكستـان لاتهدد أمريكـا ولاتهدد مصالحهـا وإنماهى مجرد دولة اسلاميـة تريـد أن تحمى نفسـها من الجار الهنـدى .. ومذابح المسلمين على يـد السيخ والهندوس نقـرأ عنها كل يوم . ولكنه محظور فى هذا الزمـان يأخوه على أى بلد اسلامى أن يدافع عن نفسه أو يحمى بيته ولو تعرض للذبح والتشريد والإزاله .

وليبيا ضربت بالطائرات لمجرد شبهـة فى أنها تصنع سلاحا كيمائيا ..

والعراق تضرب كل يوم بالأحذية بالإضافة الى الصواريخ لأن هناك شكوكا فى بقايا سلاح هنا وهناك .. وايران تهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور لأن هناك شائعات بأبحاث نوويه طى الكتمان .. واذا كان لابد من بيع شيء من فائض السلاح للخليج (لتشغيل المصانع الأمريكية وحل أزمة البطالة) فالتعليمات تقضى بأن تكون الأسلحة درجة ثالثه ومن فضلات المخازن التى مضى أوانها .. أما الحبيبة اسرائيل فلها رخصة مفتوحة بالعدوان المستمر على جاراتها وعلى دك القرى اللبنانية والفلسطينية بالقنابل كل يوم رغم قرارات الأمم المتحدة .. ومعها رخصة لتعلية ترساناتها النووية والكميائية والميكروبية والتقليدية .. وأكثر من هذا تحول اليها أمريكا فوائض ترسانتها العسكرية لتخزينها فى أراضيها .. ثم أكثر من هذا تحاط علما بكل جديد وسرى من المخترعات المتطورة .. وبكل سرى وجديد فى استطلاعات الأقمار الصناعية الامريكية وأدوات الاستشعار عن قرب وعن بعد . ولا تفسير لهذا الكرم الحاتمى والتوسعة من الجانب الأمريكى للأخت اسرائيل فى مقابل الاذلال والتضييق والحصار لكل بلد اسلامى واباحة دم المسلمين لكل معتد الا أن يكون فى المخطط الأمريكى اعطاء المنطقة العربية (شقة تمليك) للعزيزة اسرائيل (المنطقة العربية كلها بمافيها من بشر وبقر)

●●●

ولا أظن أن أمريكا سوف تعرض نفسها لصراعات لاتنتهى مع ٤٧ دولة اسلامية على اتساع رقعة العالم فى محاولة لملاحقة أى انتفاضة اسلامية هنا وهناك . ولاشك أن المضى فى صناعة ٤٧ مشكلة مع ٤٧دولة اسلامية لأن هذه تشترى صواريخ وتلك تبتاع غواصات وتلكما تتساومان على امتلاك قاذفات قنابل .. سوف يؤدى الى صداع مزمن للعزيزة أمريكا وتبديد للوقت هى فى غنى عنه . ومن باب الاقتصاد البحت .. اقتصاد الوقت .. واقتصاد المال .. واقتصاد الجهد العصبى .. سوف تفكر أمريكا وربيبتها اسرائيل ومعهما المعسكر الاوروبى كله (وعداوته للاسلام ظهرت فى مذابح البوسنة) .. سوف يفكر الكل فى معالجة المشكلة من

رأسهـا بحل نهائى . ورأس الاسلام هـو الكعبـة المشرفة والحرم النبـوى الشريف والمسجـد الاقصى . وقطـع الـرأس وكسر عين المسلمين كلهم فى عملية واحدة سوف يوفر الكثير وينهى المشكلة ويخلص العالم من الصداع الاسلامى الـذى يؤرقه (والصواريخ يمكن أن تطـول من بعيد أى شىء) وهذا الكلام يوافق مزاج أهل التلمود وأحلام يهود البروتوكولات .والانتقام لما فعله النبى باليهود فى خيبرموجود فى كتبهم وهو منتهى أملهم . ترى هل يفكـر الحكام فى المملكـة العربيـة السعوديـة فى هذه الاحتمالات أم يـرونها هذيـانا؟!! مجرد سؤال .. ؟ !! والذين يقـولون إن امريكا لايمكن أن تقـامر بالبترول فى سبيل أى هدف .. اقول لهم : ومن قـال أنها ستقامر بالبترول.. الا يقع بترول المنطقة كله الآن فى يـدها وفى منطقة نفوذها محاطا بقـواعدها وبـوارجها وفى مجال اسطـولها السـادس ؟!! والذين يقـولـون أن امريكـا والـدول الأوربيـة لايمكن أن ترتكـب أمثال تلك الحماقـات .. أقـول لهم .. وضرب سراييفو وشعبها الاعزل وتحويلها الى مقبرة على مشهد من العالـم .. أليس حماقة ؟؟ ! وضرب العـراق بالصواريخ على مؤامـرة وهمية لم تحدث أليس حماقـة .. وتهديدهـا بضربها مـرة أخرى بـالصـواريخ اذا لم تضع الكـاميرات هنا وهنـاك فى ارضها وبيتهـا أليس حماقـة ورزالة ؟! ونـزول امريكا على شاطىء الصومال فى بعثـة احسان لإطعام الجياع ثم مطاردتهم بالقنابل والرشـاشات أليس سفالة .. واستباحة الاراضى اللبنـانية لقنابل وطائرات اسرائيل أليس اجـراما .. ألا نعيش فى عصر النذالة والاجـرام قولا وفعـلا ؟؟ !! الم يحاولـوا حرق المسجـد الاقصى من قبل ؟ ! مجرد سـؤال للتفكير وتقليب وجهـات النظر .. ؟ !! والاحتياط للبـلاء قبل نزولـه واجب ، وما فعلـه جيش أبرهـة قبل أربعةعشر قـرنا من الـزمان.. ممكن أن يحدث مرةأخرى بأدوات اكثر بطشا ، وهنـاك صواريخ الآن ممكن أن تدمر بأكثر مماتفعل أفيال الحبشـة. وهناك الآن من هم أكثـر عداوة للاسلام من أبرهة وقومه . ويقول ربنا : « قد بدت البغضـاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١١٨ .. آل عمـران) وهو مـانـراه بـالفعل .. ونقرؤه فى الصفحـات الأولى من جرائد كل يـوم .. اننا أمام غطرسـة عجيبة وغرور بالقـوة وزهو

بامتـلاك الأسباب .. وأمـام ازدراء مهين لشأن المسلمين واحتقار لـديانتهم لايعرف حدودا وأمام علمانية غليظة صفيقة لاترى لله قدرا ولا للغيب دلالة .. وهى ملامح زمـان جاهلى ردئ وطابع حضـارة مادية متبجحـة توجت على عـرشها داعـرة محترفـة اسمها مـادونـا ورفعت على صاريتهـا العلم الأمريكى .. فهل دار الزمان دورته وأصبحنـا على مشارف معركة الأحزاب مرة اخرى والمسلمـون فى خندق .. والصورة جرى تكبيرهـا عن ايام النبوة مليون مرة بمقياس العصر ..؟!!

وقد تـداعى علينا أهل الشرك وأهل الكفـر بإيعاز من يهود ليستـأصلوا شأفتنا فمن لنا بالريح العاصف والطير الأبابيل ؟!!

وهل يأتينا ربنا بمعجزة ..؟!!

وهل يجئ الله بجنوده إلا حينما نحتشد نحن بجنودنا ؟!!

اقـول نحتشـد فقط .. ونضع اليـد فى اليـد والقلب فى القلب ونتقـارب ونتسـاند ونتماسـك ونجمع كل مانملـك من قوة ومـال لنـواجـه به هـذا الطوفان من البغضـاء ونواجه الأزمة القادمـة .. أزمة أن نكون أو لانكون . وذلك أضعف الجهاد

●●●

والجهـاد يقترن دائما فى ذهن القراء بـإعلان الحرب على اسرائيل وهـو ماتتمناه إسرائيل وتحلم به وتحاول أن تستدرجنا اليه بكل الوسائل .

وقد رأينـا كيف ردت على بضعة صـواريخ كاتيـوشا أطلقت عليهـا من الجنوب اللبنانى بتدمير الجنوب اللبنانى كله ودفع نصف مليون لبنانى فى رحلة فـرار الى الشمال وتفريغ ألـوف الهكتارات من الأراضى مـن سكانها خلال سبعـة أيام من الضرب المتصل (٣٥ ألف قذيفـة دمرت ٧٥ مـدينة وقرية) .

والشراسة والعنف والتحدى الذى اتسم به ذلـك العدوان الفاجر.. كانت اسرائيل تقـول بـه لنـا جميعـا : هلمـوا إلى.. هل من مبـارز.. هل من رجل يتقدم..؟!!

ولا شك أن اسرائيل لا تـريـد أى سـلام بل على العكس تـريـد الحرب

وتتعجل تلك الحرب ، لأن الزمن زمـانها والرياح تهب على هواهـا.. فالدول العربيـة منقسمة على نفسها لا تجتمع لها كلمـة والقواعد الأمـريكية تجثم على أراضيهـا والفقر والـديون والمشـاكل تجثم على أكثرهـا ، والدائن هـو أيضـا السيد الأمـريكى.. والعـراق تحت الحذاء الأمـريكى وليبيا مطـاردة ومطلوبـة للتحقيق وسوريا مهـددة بأنه لها مـاض فى الارهاب.. والمجتمع الدولى كلـه فى صف اسرائيل.. والكل فى جيب أمريكـا التى انفردت وحـدها بالعـالم تفعل به ما تشـاء وقد اختصت اسرائيل وحـدها بالحب وبـالدعم المادى والمعنوى والعسكرى وضمنت لها التفـوق فى العتاد الحربى على كل الـدول العـربية مجتمعـة وضمنت لها جسـور تموين مفتـوحـة فى جميع الأوقات.

وفى مثل تلك الحالة من عـدم التكافؤ تصبح أى حـرب نزهة مضمـونة بـالنسبـة لاسرائيل ،ولهذه الأسبـاب مجتمعـة تتمنى اسرائيل أن نبـدأهـا بعدوان.. أى عدوان ولو بضعة صواريخ كاتيوشا.

وفى الحقيقـة إن من يحارب اسرائيل الآن سـوف يحارب امـريكـا ذاتها وربما الأمم المتحَدة معها.. ولهذا فالجهاد عندى له معنى آخر فى هذا الزمن الـرديء.. أنه الصبر والمصـابـرة وبناء القـوة الـذاتيـة وتنمية الاقتصـاد واصلاح التعليم وبناء سد بشرى فى سينـاء بتعميرها وجمع الكلمة العربية فاذا لم تجتمع فيكفى أن تجتمـع سوريا ومصر فهـذا الثنائى هـو الكماشة التى كانت دائما قادرة على تغيير التاريخ.

وأول بند فى القوة الـذاتية هو تطوير الصواريخ بأنـواعها ونظم الرادار المتنقل واستيراد الخبرة المطلوبة فى هذه الأسلحة من جميع مظانـها.

ثم الجهـاد الـدبلـومـاسي لنفتـح لنـا نـوافـذ على الصين وعلى الـدول الاسيوية.. والتنسيق مع أيران فى المواجهة التى تستهدف الوطن الاسلامى كله.

ثم الجهاد الاعلامى لاحباط التآمر والفتن.

ثم الجهاد الأخلاقى واصلاح الحال مع الله وطلب المدد منه.

لقـد قـال نبينا العظيـم لمن جـاءه يبكى يـريـد أن يـذهب ليقـاتل مع المقـاتلين: ألك أم ؟

قال الرجال.. نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فجاهد فيها.. بهذا المعنى يتسع معنى الجهـاد فيصبح الابن الـذى يكـافح ليطعم أمـه ويخدمهـا ويـرعـاهـا فى شيخوختها مجاهدا، كالذى يخرج للقتال فى الغزوات.

بل إن جهـاد النفس هـو فى ديننـا الجهـاد الأكبر ، وفى الحروب اختيـار التوقيت هو أساس النصر.. والحكمة هى أداة الغلبة.

والـوقت الآن ليس وقتنـا والجهـاد بـالسـلاح لم يأت أوانـه.. ولكن لن يطول الانتظار فسوف يتغير اتجاه الرياح.

والـذى بيده تصريف الـرياح وهـو ربنـا تباركت أسماؤه سـوف يغير اتجاهـها.. فلن تظل أمريكا على القمة ولن يظل اقتصادها على القمة فأمريكا بناء عظيم ولكنه يتـآكل من داخله وهى فى شيخوختهـا وليست فى صباهـا.. ودوام حالها أصبح من المحال.

وقد أرانا الله اياته فى روسيا التى أمـاتها وهى واقفة وعلى ظهرها قنابل تكفى لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات.

ورأيناها تزحف وتتسول ويحارب بعضـها بعضـا ويأكل بعضـها بعضـا.

حدث كل هذا دون أن تطلق عليها رصاصة من عدو.

ان معنى الجهاد فى الاسلام واسع وعظيم.

فلنجـاهد أولا فى أمنـا مصر فإذا نجحنـا جاهـدنا فى الأم الأكبر.. الأمـة العربية.. ثم الأمة الاسلامية..

وثقوا بالنصر.. ولكـن النصر له سننه.. وله خطـواته.. وسوف يجىء فى وقته.

فلنبدأ حربنـا خطوة خطوة وكل خطوة بمـواصفاتها.. وعلى مهلكم.. ولا تعطوا اسرائيل سـلاما ولا حربا ولا سـوقا شرق أوسطية ولا أمنا ولا أمـانا ولا تنهوا مقاطعتكم لمنتجاتها.

والإسلام معطل

لا وجه للمقارنة بين الصفقـة التي حققها السادات للفلسطينين فى اتفاق كامب ديفيد وبين الصفقة الضئيلـة التى ارتضاها الفلسطينييون لأنفسـهم فى اتفــاق غزة أريحا .. فى الأولى كـانت الأرض المحتلـة كلها لهم يحكمـونها حكما ذاتيا .. الضفـة والقطاع والقدس الشرقيـة ، وكان طـريقهم الى اعلان دولتهم مفتوحــا .. واليوم تلقى اليهم اسرائيل بغزة التى ضاقت بمشــاكلها وبقريــة أريحا مع شروط مشددة .. لا للانتفاضــة .. لا للعنف .. ولا للكلام عن دولة فلسطينية ..ولا للكلام عن القدس .. فيوقع ياسر عرفات راضيا الى جوار توقيع رابين وهو فرح فخور ..

وبـالأمس رفضــوا صنيع الســادات واعتبروه خائنــا وامتـدت الأيـدى الفلسطينية لتقتل يـوسف السباعى لأنــه كان يمشى فى ركابــه .. ثم امتدت أيـد ضالــة مجرمة لتقتل الســادات .. وسقط البطل وهــالوا عليــة التراب .. ورقصوا فرحا لمقتله واليوم يعرفون مقداره .. .

وكــان السادات يفــاوض من مــركـز قوة ومن ذروة انتصــار .. أمــا هم فكانوا يفاوضون من حضيض انكســار صاحبهم صدام حسين ومن كارثة تمزق عربى وانفجــار أحقاد عربية عـربية لا آخر لها ، ومن هاويــة افلاس مادى ولم يكن ممكنا أن يحققوا أكثر من هذا الكسب الضئيل .

واليــوم لو انطلق الـرصاص الفلسطينى فســوف يرد عليـه الرصـــاص الفلسطينى بحكم الاتفــاق .. وســوف يقـومـون بتصفيـة بعضـهم البعض بالنيــابة عن العــدو الاسرائيلى فهم حـراس الأمن بحــكم الـوثيقــة التى وقعــوا عليها .

لقـد تلقوا درســا تاريخيا .

ولا نبكى على اللبن المسكوب .. فما حـدث قد حدث ونحن أبنـاء اليوم .. والخروج بشىء أفضل من الخروج بـلا شىء .. وفلسطين أولا وأخيرا هى شأن فلسطينى .. وعسى أن يتفقـوا على هذا القليل وتتحـد كلمتهم وتلتقى منظماتهم .. وأول الغيث قطـــرة .. والهمم اذا اتحدت تصنـــع المستحيل .. ونحن معهم على ما أرادوا .

ولكن لكل مقـام مقال .. وهنـاك متغيرات قـد استجدت بهذا التـوقيع .. واسرائيل باعترافها بمنظمة التحريـر قد غيرت من استراتيجيتها وبدلت من خططها تمامـا .. واذا تم الاتفاق مع سـوريا ولبنـان والأردن بنفس السرعة والسهـولة التـى تم بها الاتفاق مع الفلسطينيين ، فإن اسرائيـل تكون قـد القت سـلاحهـا مـؤقتا .. وتكـون خطتهـا للمستقبل قـد أصبحت هيمنـة اقتصادية ..

تطبيع فورى والغـاء للمقاطعـة .. ونشترى ونبيع للجميع وسوق شرق أوسطية والمال اليهـودى والعلم اليهودى والاقتصـاد اليهـودى ، المتفوق فى سبـاق حر مع المال العـربى والعلم العـربى والانتاج العـربى .. والشـاطـر يكسب .. واذا لم نكن على مستوى اللعبة فالنتيجة معروفة .

فـاذا أضفنا الى هـذا أنشطـة أخرى خفيـة تـدبـر من الآن .. بارونـات المخـدرات ينتقلون الى جنـوب لبنـان وأوراق الكوكـا تستـورد من أمريكـا الـلاتينيـــة ليستخلص منهـا الكـــوكـايين ويصنع « الكـراك » القــاتل .. والخشخاش يزرع ويستخلص منه الأفيون والمورفين ويصنع الهيروين .. يحدث كل هـذا تحت الحماية الاسرائيليـة .. والهدف هـذه المرة هو اغـراق مصر والسعـودية والعـراق بالمخـدرات ، هـذا مع مخطط آخر يجرى منـذ شهـــور هــو ضرب السيـــاحـــة والاستثمار فى مصر بمسلسل التفجيرات ومسلسل حـرق المصانع فى العـاشر من رمضان وكلهـا جرائم ذات هـدف سياسى لإفقار مصر وتدمير قدرتها على المنافسة .

يحدث كل هـذا خلف واجهة السـلام والصداقـة المتبادلـة وتصريحات المودة وكامب ديفيـد وغزة وأريحا وهـذا هو نوع السـلام والسوق الشرق أوسطية والتعـاون الحر والانفتاح الـذى نحن مقبلون عليـه ، واللعبة ذات

الوجهين التى ستلعبها اسرائيل والمخابـرات الأمريكية فى المنطقة .. سلام فى الظاهر .. ومكائد وافساد فى الخفاء لإنهاك المنطقة واستنفاد طاقاتها .

هل تنتبـه جميع الأطراف العـربيـة وتشـترط فى جميع اتفاقـاتها تطهير المنـاطق تحت السيطرة الاسرائيليـة والعـربية مـن مزارع المخـدرات ومن مصانع الهيروين والكوكايين .. ؟؟

وهل تفتح أعينها على الـوجه الآخر من اللعبة .. جانـب الإفساد والمكائد والفتن والعمل من وراء الكواليس .. ؟؟

إن افتراض حسن النية فى هـذا العالم أمر غير وارد .. واليهود كـانوا الى عهـد قريب أقليـة مضطهدة وفى مـواجهـة الأغلبية من حـولهم لم تكن لهم وسيلة للمنافسة والغلبة سوى هـذه الأساليب الملتوية والمكائد الخفية التى اتقنوهـا وتفوقـوا فيها .. ومازال يهود اسرائيل أقليـة فى بحر من الأكثـرية العـربية .. ولن تتخلى اسرائيل عن مكـائدهـا واساليبهـا الخفية أبـدا فهى وسيلتها المضمونة للغلبة فى مواجهة الكراهية التى تظن أنها تحاصرها ، إن تخزينها لترسـانة نوويـة من مئات القنابل الذريـة والصواريخ وترسـانة أخرى كيماوية وثـالثة ميكروبية يدل على سـوء نيتها ويشـهد بأنها تفترض دائما أسوأ الفـروض .. وعلينا أن نفهم هذه العقلية ونتعـامل معها كما هى ولا نفترض صداقة وهمية أو محبة خيالية .

والنظام العـالمى الجديد هـو مسرح للظلم وحلبة للفـوضـى والاستغلال والانتهازية وأمـريكا ومن ورائها اسرائيل تريـدان لنفسيهما نصيب الأسد من الكعكة ولو هلك هذا العالم عن آخره .

فاذا كـان لابد لنا أن نلعب لعبة السـلام فلنلعبها بمواصفاتها العـالمية الأمريكية .. يد تصافح واليد الأخـرى على المسدس ، فهكذا رأيناها فى أفلام رعـاة البقـر الأمريكيـة ، وهكـذا رأينـا مسلسلاتها تجرى أمـامنـا الآن فى البوسنة والهرسك وفى الصـومال وفى جنوب افريقيـا وفى انجولا وفى ليبيريا وفى نيجيريـا وفى كشمير وفى بورمـا وفى العراق وفى كـردستان وفى جنـوب السودان وفى كل منطقة ملتهبة من العالم .

وعـالم النفس اليهودى فـرويد لـه فلسفة يقـولها فى كل كتبه : ان هـذا

العالم غـابة انت فيها .. آكل أو مأكـول .. ولا يوجد احتمال ثـالث .. فاختر أيهما تكون .

●●●

والاسـلام فى هذه الغابة هو كلمة الله الـداعية الى المحبة والرحمة والرأفة والمروءة والنجدة والأمانة والعدل وكفالـة حرية الاختيار لكل مواطن ، وهو لايفرق بين جنس وجنس ، ولابين لـون ولون ولا يتفاضل عنـده الناس الا بالتقوى والخلق والعمل الصالح ..

والاســلام يعلمنـا اننـا مخلـوقـون لحيـاة محدودة ثم نمـوت ونبعث ونحاسب .

وكذلـك تدعو جميـع الأديان السماوية الى نفس الـوصايـا ونفس القيم ونفس الأخلاق ونفس المبادىء ، ومنذ آدم والنـاس يعلمون انهم مخلوقون ليحيوا لآجال محدودة ثم يمـوتون ويبعثون ويحاسبون .. ونجـد مشاهد الحسـاب والميزان فى مقابر الفراعنة وأهراماتهم .. ومع ذلك فلا أحد يعتبر .. والغـابة مـازالت غـابة .. بل إن وحـوشها يـزدادون تـوحشا ويصنعـون لأنفسهم مخالب ذرية وأذرعـا كيمائية وأرجـلا ميكروبيـة يبطشون بها .. ونرى فى البوسنة من يقتلون باسم الدين والدين من جرائمهم براء ..

ويسـأل السـائلون دائما : ولماذا المسلمـون متخلفون وفى الذيل من دول العالم ولماذا هم أكثـر الدول تأخـرا وضعفا رغم كثـرتهم ورغم ثرواتهم ؟! فأقول : لأنهم فهموا اسلامهم فهما خاطئـا .. فهموا الاسلام على أنه تواكل واعتزال وزهد وسلبيـة وخضـوع وخنوع واسقاط للتـدبير ، فكل ما يحدث أمـامهم من ظلم فهـو قدر الله .. ولا يجوز الاعتراض على قـدر الله .. فهمـوا الاســلام على أنه استســلام للمخلـوقين ولقهـر الظروف ولظلم الطغـاة .. وأسمـوا كل ذلك قـدرا لايصح الخروج عليــه ، وأن الله هـو الفـاعل وليس للمخلوق فعل ولا عمل .. الا التسليم والرضـى .

وآخرون منهم تجمـدوا على النصوص وتحجـروا على الألفاظ وتـوقفوا عند سلفيـة محدودة مقفلة داخل ظروفهـا وتاريخها فـدخلوا كهفا حيـاتيا باختيارهم وأصبحوا حفريات دينية .

والمسلمون أكثــر الناس تــلاوة لكتابهم تــرتيلا وتجويــدا ولكنهم قعود دائما وفى حــالة سكــون لا يتقدمــون .. يقرأون كتــابهم بعيون الموتى فــلا تطلق فيهم الآيــات قوة دافعــة للحركــة والعمل والبحث والاختراع .. مع أن القرآن كتاب حركة وعمل .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وفى كل آية أمــر بالسير والنظر والحركــة والتفكروالتــدبر والتأمل ، وفى الاسلام ديناميكيةوايجابيــة وحض على العمل والسفر والسياحة فى الأرض والبحث العقلى .. فنــراهم يتركــون كل هــذا ويختارون الاعتــزال والخلــوة والانقطاع للتســابيح والصلوات .. والصــلاة مطلوبــة والتسابيح مطلــوبة ولكن مطلوب بعدهــا أن ننطلق فى الأرض لنبتغى من فضل الله .. ولقد خرج عقبة بن نافع من قلب الصحراء العربية على فــرَسه غازيا يدعو إلى الله حتى بلغ الشمال الافريقى ثم استمر حتى بلغ أقصى الغــرب فلماذا لا نأخذ هذا المثال الحركى .. ولماذا لانرى فى كتابنا تلك القوة الدافعة التى شعر بها ذلك الــرجل السلفى الفطرى ، ومثلــه ابن خلــدون وابن بطوطــة .. بل ان الملاح الذى قــاد سفينة فاسكــو ديجاما الى الهنــد عبر رأس الرجاء الصــالح كان عربيامسلما .. والذين رسموا الخرائط الجغرافية الأولى للقارات كانوا علماء مسلمين مثل الادريسى والاصطخــرى والقــزوينى والبلخــى والمستــوفى والمسعودى وابن حوقل .. فلماذا لا نأخذ هذه المثل السلفية ؟ . ولماذا لانقف الا عند اللحية وتقصير الثوب والســواك والأكل بالأصبع والسروال والنقاب الى آخر هذه الشكليات التى لاتقدم ولا تؤخر ، ولماذا هذا القعود والسكون والسلبيــة والرجعيــة فى دين يأمــر بــالحركة والعمــل والانطلاق فى أرجــاء الأرض ؟ ولماذا يذهب أصحــاب مذاهب التنــوير الى تنــوير آخر مــريب عن طــريق التشكيك والتغــريب والعلمانيــة .. ينتهى بنــا الى الخروج عن الملــة بالكلية .. ولماذا لاترى عيونهم التنوير الباطن بالفعل فى كل آية ؟.

والقرآن نفسه كتاب تنوير من أول آيــاته .. اقرأ باسم ربك الذى خلق ..

أمر صريح بـالقراءة وطلب الاستنـارة والاستدلال على طـريق الخير باسـم الرب الخالق الذى خلق .

لم يفهمـوا كل هذا وتعـاموا عنـه وطلبـوا التنويـر من ديكارت وهيـوم وأوجست كـونت .. وكـان تنـويـرهم يبـدأ دائما بـرفض الإسـلام نفسـه والتشكيك فيه وفتح الباب لغزو ثقافى غربى يأتى ومعه آلته الاستعمارية .. وعلى هذا الدرب سار سلامة موسى وطه حسين وبقية الطائفة .

أما بقية المسلمين فقد استراحـوا الى الكسل والتواكل والسلبية والجمود ولم يفهموا من القرآن الا ما تهوى نفوسهم العاجزة التى لا تريد أن تنهض لأى عمل .. وهكذا ضاعـت حقيقة القرآن وجوهره من أيـدى أهله ولم يتبق منه إلا حواشيه .

والحقيقـة ان الاســلام ظل معطـلا منـــذ مئـات السنين ولم يـدخل فى التنافـس الحضارى الموجود .. الاســلام مبعد ومعتقل بين دفتـى القرآن .. ومنذ الـوثبة الأولى فى أيام النبى عليه الصــلاة والسلام وخلفائه الـراشـدين تراجـع الاسلام عن المنـافسة وتقوقع فى المســاجد والصــوامع واختفى فى المراجع وانـزوى فى قلوب القلـة من العارفين .. وضرب الاستعمار حصــاره حول الدول الاســلامية ودخلها غازيا ومخربـا وناهبا ومشوهـا لكل ماهو اسلامى .. ومـازال التخريب مستمرا .. وآخـر حملاته هى مايفعلـونه الآن بإلباس الأصولية الاسـلامية ثـوب الاجرام والارهـاب وتقديم عتاة المجرمين على أنهم طـلائع الأصوليين المسلمين .. وفى هـذه الدوامــة من خلط الأوراق وتزييف الحقائق تمد اسرائيل يـدها فجأة لمصالحة عربيـة اسرائيلية ويبدأ عصر السـلام العجيب ذو الـوجهين ومن وراء اسرائيل قوة أمـريكية هـائلة تؤيـدها ونظام عـالمى مريب ينفـرد بالسيطرة على العـالم وينشر الفوضى لحسابها .

ولكن فوق اسرائيل وفـوق أمريكا وفوق هذا التخطيـط الماكر هناك رب العالمين الـذى يستدرج الجميع ليوم معلوم ولمواجهـة يدبرها .. وهـو الأمر الوحيد الذى لم يدخلوه فى حساباتهم . فـالكومبيوتر عندهم ليس فيه خانة اسمهـا الله . ولكن هــذا لايعفينـا مـن الاسهـام والعمل ، فنحن أسبـاب الله وأدواته وجنده ..

والخطوة الأولى المطلوبة .. هى ان نفهم .. وأن نكشف هذا التضليل وأن نزيح هـذا الركـام من التعمية .. وان نعـرف مواطىء أقـدامنا .. وان نعيش اسلامنـا كما عاشه الأوائل وكما هـو فى الحقيقة .. قـوة دافعة ، وعمل دائب وكفاح متصل واصلاح للأرض ، ودفع للمظالم وردع للشر ..

ورغم كل شي وحتى لـو كـان احتمال الصـدق وحسن النيـة فى عـرض المصـالحة الأخير لايزيـد على واحد فى الألف ، فعلينـا أن نتمسك بهذا الأمل الضعيف ولانرد اليـد الاسرائيلية التى تقدمـت بالسلام بل نتقـدم فى حذر ونرد المبـادرة الطيبة بأفضل منها ، فنحن مسلمون والسـلام ديننا .. والله لن يخذلنا مادمنا خداما مخلصين لكلمتـه .. ولن نكون البادئين بالغدر أبدا فالاسلام قيم ومبادىء وأخلاق .

●●●

ومن الواضح أن اسرائيل قـد غيرت من سياستها وانتقلت بمقـدار مائة وثمانين درجة من أقصى اليســـار الى أقصى اليمين وتنازلت « مـؤقتا » عن اسرائيل الكبرى فى مقـــابل اسرائيل كبرى من نـوع آخـــر .. اسرائيل كبرى اقتصـاديا .. وبـدلا من عملقـة عسكـرية تمتـد من النيل الى الفـرات وتثير العداوات والمنـازعات .. فإنها تفكـر الآن فى عملقة اقتصـادية تكتسح النيل والفرات وما وراء النيل والفرات وتبيع وتشترى وتوجه وتحكم سوق شرق أوسطيـة تتـاجر مع ٤٧ دولـة اســلاميـة وتكـون لها بوابـة على الســوق الأسيويـة وبوابة أخـرى على السوق الأوربية وبوابـة ثالثة على افـريقيا .. ومن خلال هذه العملقة الاقتصـــادية « وهى مؤهلة لها » تستطيع أن تسقط حكومات وتقيم حكومات وتفعل بالخريطة الجغرافية والخريطة السياسية ماتشاء .

والقنابل النوويـة والصواريخ الذرية والرؤوس الميكـروبية والكيمائية التى خزنتها فى ترسانتها كانت مجرد حماقة ، فهذه الأسلحة أصبحت كلها ممنوعة وعليها محاذير دولية مشددة .

وأين ستلقى بقنابلها الذرية .. ؟؟

وأينما القت بها فى المحيط العـربى حـولها ســوف تـرتـد الاشعـاعـات النووية عليها فتهلكها ، وسوف ينتفض العالم كله محتجا على التلوث الذى

سوف يحدث فى البر والبحـر وفى المزروعات وفى المنتجات الغذائيـة وسوف تتحول فى عين الأسرة العالمية فى لحظة الى عدو الانسانية رقم واحد .

ان فكرة الغزو العسكرى واسرائيل الكبرى التـوراتية .. أصبحت حماقة وطيشا سيـاسيا غير وارد بـالنسبة للقـاموس السيـاسى العالمى الحالى .. وبالتالى أصبح من الضرورى التنازل عن هذا الحلم أو الكابوس واستبداله بسيطرة من نوع آخر .. ولايوجد أفضل من السيطرة الاقتصادية ..

وروسيـا سقطت بهزيمـة اقتصـاديـة .. والامبراطـوريـة البريطـانيـة تراجعت الى آخر الصف بسبب ضمورها الاقتصادى .

ولا توجد امبراطورية الآن تستطيع ان تقف امام ضربة اقتصادية .

إذن الهيمنة المطلوبة يمكن أن يحققها الاقتصاد وحده ..

ولكى تصل اسرائيل الى هذه العملقـة الاقتصادية لابـد أن تتصالح مع الكل وتبيـع للكـل وتشـترى للكل وتتسلل الى جميع الأسـواق وتدخـل الى جميع التجمعات .

ومن هنا كان لابد أن تبدأ من البداية وتحل عقدتها مع فلسطين وتعترف بما لم تكن تعترف به وتصافح عرفات وأبـو مازن وأبو نضال وأبو وليد .. الخ ..

وبحســاب الـورقة والقلم فإنها لن تخسر بهذه التنـازلات وانما ســوف تكسب قلوبا جديدة وأراضـى جديدة وأسواقا جديدة وهذا هو المهم .

وقد رأينا رابين يـركب الطائرة عائدا من امريكـا فيقف فى المغرب ليلتقى بالملك الحسن الثانى .. وغدا يذهب الى تونس .

وهناك كلام بعودة العلاقات الـدبلوماسية بين المغرب واسرائيل ثم بين تونس واسرائيل والبقية تأتى .

انها السياسة الجديدة .. التسلل الى القلوب للدخول الى الجيوب .

والعبقرية الاقتصادية اليهوديـة شىء قديم ومعلوم وهم الذين صنعوا البنوك واخترعوا الفوائد الربوية .

هل سمعت عن بنك واحد يفتح أبوابـه يوم السبت ؟ !! ان أجازة السبت هى الختم اليهودى والتوراتى على جميع البنوك .

نعم .. يـاســادة .. اننـا مقبلـون على غـزو جـديـد .. اسمــه .. الغــزو الاقتصادى الاسرائيلى .. وأول أهدافه .. منطقتنا العربية .

ولن ينفع هذه المرة كفاح الشعارات ولا استراتيجية الهتافات ولا إسلام اللحى والجلابيب ولا نداءات التعصب . وانما المطلوب فى هـذه المنافسة هو اسلام العلم وتشمير السواعـد ومضاعفة الانتاج وتجويـد الصنعة واتقان قواعد اللعبة وفتح كل القنوات على جميع دول العالم .

ونبدأ من الآن .. فإنهم على الجانب الآخر يهرولون ويسابقون الزمن .

يد تمتد بالسلام
والأخرى على الزناد

إسرائيل التى استطاعت أن تجند ثمانية عشر ألفا من الفلسطينيين ليعملوا كجواسيس وطابور خامس ضد إخوانهم وبلدهم.. ومن قبل ذلك جندت أمريكا وجندت البنتاجون وقامت اخيرا بابتزاز عشرين طائرة للقتال الليلى من أحدث منتجات الترسانة الأمريكية والتكنولوجيا المحظورة وبضع مليارات تحت حساب صفقة السلام التى لم تتم الا كلاما.. ومن قبل ذلك جندت الصحافة العالمية والاعلام ودور النشر والسينما والمسرح للدعاية لقضيتها وما زالت تبتز من المانيا مليارات الماركات تحت حساب التعويضات.

وقد حصلت اسرائيل أخيرا على السوبر كومبيوتر الذى سوف تستطيع به أن تلاحق أى صاروخ يطلق عليها وتدمره.

كل هذا وأكثر فى مقابل كلام ووعود بالسلام لم تف منها بشىء.. فما زالت حتى هذه اللحظة تقتل وتنسف البيوت وتدك بالطائرات سهل البقاع وجنوب لبنان.. لأن هناك جنديا اسرائيليا واحدا قتل فى إحدى المستوطنات.

والعرب على الجانب الآخر الذين مزقتهم الأحقاد والكراهية ، والذين عجزوا عن انشاء سوق عربية مشتركة وعجزوا عن الاتفاق على اى شىء.. تأتى اليوم اسرائيل لتدعوهم لسوق شرق أوسطية مشتركة فيتسابقون اليها لاهثين يسيل لعابهم.

شىء عجيب .. ومشهد أعجب.. الذئب استطاع أخيرا أن يجمع الحملان ويضعهم فى طبق واحد باختيارهم.. وهم يتسابقون الى احتلال اماكنهم على الشواية الاسرائيلية.. حدث كاريكاتيرى من الطراز الأول.

ويقولون إن امريكا تدفع القطيع العربى وتمنّيه بالأحلام والامانى ومع

ذلك لانـرى أى شـواهـد لهذا السـلام المنتظـر.. لاشىء سـوى تمثيلـة المصافحة التى تمت تحت الأضواء فى واشنطون بين عرفات ورابين.

ويكاد يكون المسلسل برمته نوعا من ألعاب الكمبيوتر.

وإذا كانت اسرائيل تريد السلام حقا فما حـاجتها الى تكديس ترسانتها بالاسلحة والمقـاتلات الليلية والنهارية والمدافع والـدبابات رغم انها تطفح بالقنـابل النوويـة والميكروبيـة والكيماوية التى تغنيهـا عن كل شىء.. ثم تحرص على دفع الصديق الامـريكى لحظر السـلاح على كل الدول العـربية وملاحقة أى شبهة أسلحة متطورة أو بحوث نووية أى أرض عربية.

وما الضمان عند العـرب من أن يخلف رابين زعيم ليكودى متشدد مثل شامير أو قـائد شوفينى مثل ميلـوسوفتش يحلم بـاسرائيل الكبرى ويفعل بالأسلحة الاسرائيليـة المتراكمة مثل مافعل ميلوسـوفيتش بأسلحة الجيش اليـوغسـلافى فى إقامـة دولـة الصرب الكبرى على اكتـاف الجماجم والجثث والـدمـاء الاسـلاميـة.. ورابين من الآن يخطب ويـذيـع فى كل مكـان بأن الأصـوليـة الاسـلاميـة هى العـدو البـاقى للحضـارة الغـربيـة وخصم الديمقراطية اللـدود الذى يجب الخلاص منه.. وأن اسرائيل هى الدرع التى سوف تقى العالم مـن هذا الوباء الاسلامى.. وان التـاريخ قد وضع فى عنق اسرائيل اداء هذه الرسالة الكبرى.

انـه يقولها من اليـوم وهـو الـرئيس الاسرائيلى المسالم.. فماذا سـوف يقول الرئيس الليكـودى الذى سوف يأتى بعده حينما يجد أنـه يعوم فوق ترسانة من اسلحة الدمار الشامل تمكنه من ان يفعل ما يشـاء.

واسرائيل تقول رغما عن كل هذا السـلاح انها خائفة من السـلام.. فماذا نقول نحن العرب العزل الضعاف المشتتين بالاحقاد والكراهية؟!

ان مايحدث أمامنا لا يطمئن أبدا.

وأغنيـة السلام التى يهدهـدون بها مخاوفنا لاتبعث على النـوم بل على الأرق.

وقد قـال رابين منذ أيام.. انى أقـدم عرض السلام بيد ، واليـد الأخرى على زنـاد المسدس..

هل فهمتم.. وهل وصلتكم الرسالة؟.

وهل خطر لكم أن تسألوا رابين لماذا طلب من امريكا فى لقائه الأخير بكلينتون ٢٥٠ مليون دولار لإنشاء شبكة طرق لاعادة نشر قواته فى الأرض المحتلة.. هل نحن بصدد اعادة نشر القوات الاسرائيلية ، أم المبادرة بسحبها؟؟ هل نحن بصددالسلام أم بصدد التأهب لحرب جديدة ؟!

وهل خطر لكم أن تسألوا الرئيس الأمريكى ..

كيف وافق على هذا المطلب؟!

انى اكاد أرى رابين الذى يصافح بيده اليمنى ويده اليسرى على الزناد .اكاد أراه يضع يديه الاثنتين على الزناد .

هل تقرأون الأخبار كما أقرأها .. أم أنكم اخترتم النوم على معسول الكلام وآثرتم خداع النفس والرقص على مزامير السلام التى يعزفها مدرب الثعابين المحترف رابين ؟ ! .

الى متى يستمر الرقص على الحبال .

●●●

والاسلام موضوع فى خانة الإجرام..هكذا اختار له الماكرون تلك الخانة!!

وكانت اسرائيل أكثر تحديدا فقالت : الاسلام الأصولى ..هو العدو الحقيقى للديمقراطية .

وقد جعلت اسرائيل من نفسها الدرع الواقية للعالم من هذا الوباء ..

وقال رابين : ان التاريخ وضع فى عنق اسرائيل مهمة التصدى لهذا الوباء الاسلامى وحمل أعباء هذه الرسالةالكبرى .

هل هذا كلام خطب للاستهلاك المحلى ؟ هل هو مزايدة للزعماء الليكوديين خصوم الأمس ..أم هى بالونات حمراء للتصدير والتهديد والتخويف ؟أم هى اجراس إنذار لإيران وباكستان وأفغانستان ولأى دولة شرق أوسطية تجازف برفع أى شعار اسلامى ..

هى كل هذا واكثر.

أقول أكثر لأن اسرائيل تبنى ترسانتها على هذا الاساس .. وامريكا تدعم تلك الترسانة وتعززها بناء على تلك الفرية .

والقول بأن الاسـلام الاصولى هـو الإجرام ، مثل القـول بأن المسيحية الحقة هى مـاتفعله طـائفة الكلـوكلوكس كلان مـن اشعال الحرائق والقتل والتخريب .

هى فرية والـذين يروجون لها يعلمون أنها فريـة ولكنهم يستخدمونها لتبرير حصـارهم لكل صوت اسلامـى وتنكيلهم بأى تحرك اسلامى فى أى مكـان .. وأكثـر الجرائم التى تحدث الآن وراءهـا أيـد أسرائيليـة وأمـوال أمريكية ومخابـرات أجنبية ، وهم ينفقون على هذه الأكذوبـة ليرسخوها فى الأذهان وليبرروا مخططاتهم.

وإلا فكيف يوصف قتل الأبـرياء فى العـدوان الأخير على رئيس الوزراء المصرى بأنـه جهـاد اسلامـى؟! وكيف يعلن مـدبرو هـذا الاجـرام بأنـهم جماعـة الجهـاد الاسلامـى.. وأين الجهاد هنـا وأين الاسـلام والجريمـة مـوجهة ضـد الاسلام الأصـولى نفسـه وضد مصر ولايمكن أن يقـوم بها مسلمون.

والتقاط اسرائيل لهذا الفـرية.. والزعم أمـام العالم بأنها الدرع الـواقية التى اختارها القدر لصد هذه البربريـة الاسلامية والقضاء عليها.. هو أكثر من مجرد ثرثـرة ميكروفونات.. بل هو خـط مستقبلى واستراتيجية تساوم بها اسرائيل الحلفاء الغـربيين لتبتز المزيد من المعونات والمزيـد من السلاح والمزيد من التنازلات.. وتضمن بها الفيتو الجاهـز أمام أى عدوان تقوم به.. وتضمن أن أى عقوبـات تقررها الأمم المتحـدة لن تدخل فى البـاب السابع.. وهـو ماحـدث دائما.. ولا غرابـة بعد ذلك فى أن تكـون هناك أيـد للموسـاد وللمخـابرات الأمـريكية فيما يجرى من تفجيرات وجـرائم باسم الاسـلام وباسم الجهاد الاسـلامى.. والرئيس كلينتون فتح صدره لمقـابلة ودية مع سلمان رشدى الكـاتب الذى سب الاسلام وبصق فى وجـوه المسلمين ، ولو طلب شيخ الازهر مقابلته لما ظفر بدقيقتين اثنتين من هذا الود الصـافى .

وهذا يستـدعى منا أن نبنى استراتيجيتنـا على نفس الأسـاس فنصـافح بيد واليـد الاخرى على الزناد ونخطـو معهم خطوة نحو السـلام ، ونخطو خطـوة موازيـة لـزيـادة كفاءتنـا العسكـريـة ونتعامل بحـذر مع الأيـدى الاجرامية التى تصافحنا كل يوم.

وسوف تكلفنا هذه الاستراتيجية بأكثر مما فى خزائننا ولابد أن تفهم الدول العربية هذا الدور فتساعدنا فيه.

والذين يتخوفون من حرب صليبية يهودية قادمة لايتكلمون من فراغ فالاحتمال قائم ومشهود ولا يعمى عنه الا الذين يتعامون عامدين ليوفروا على أنفسهم الأعباء الثقيلة المكلفة .فالمنطقة تسبح فى بحر من الفتن والمؤامرات والسلاح يتراكم ودائما عند طرف واحد هو اسرائيل.

ولااظن أن السلام الوهمى سيدوم لأكثر من خمس أو ست سنوات على الأكثر.. ثم ماتلبث أن تغرى العملقة العسكرية وأهرامات العتاد الحربى ومنصات الصواريخ ومئات الطائرات المقاتلة الجاثمة على الارض الزعيم المجنون القادم بأن يشعل الفتيل ليبدأ العد التنازلى للنهاية.. أو يتحقق الحلم الآخر السهل بأن ينهار العرب من داخلهم أكثر فأكثر ويفتقروا اكثر فأكثر ويختلفوا فيما بينهم اكثر فأكثر.

أقول هذا لأقرع أجراس الانذار للنائمين الذين لم يشبعوا نوما.

وأقول للجار الاسرائيلى: نعم الاسلام دين مسالم وديع متسامح ، ولكنه عند الضرورة وحينما يؤخذ غيلة وغدرا دين مقاتل صلب المراس لايضع سلاحه الا منتصرا..

والمسلم يطلب الموت فى ساحة الحق مثلما تحرصون انتم على الحياة فى ساحة الباطل ، والله لم يطلب من المسلم المقاتل أن يعد العدة التى تكافىء تجهيز الخصم ، ولكنه قال :« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» .. افعلوا اقصى ما تستطيعون.. احشدوا اقصى امكاناتكم ولو كانت دون امكانات الخصوم ، فالاستطاعة هى الحد الاقصى المطلوب وما يزيد على ذلك يتكفل به الله بإمكاناته التى بلا حدود.. وذلك لأن بلوغ اقصى المستطاع هو برهان الاخلاص.. وهو الشرط المطلوب ليأتى الله لنجدته.

هذا ما يعلمنا إسلامنا ودرعنا الحقه التى لاتبيد وبهذا المنطق انتصر المسلمون وهم قلة على اكبر امبراطوريتين فى الماضى.. الفرس والروم.

●●●

أعداؤنا يخافون من بعث هذه الروح.. وصحوة هذه العاصفة النائمة..

وهم لا يخافــون من صحــوة البراقع والجلاليـب واللحى ولا يعبأون لبعث الشكليات والمظـاهر.. بل ان بيوت الأزيـاء فى باريس تتنـافس فى هذا المضمار فتبتكر الماكس والطويل والمجرجر والقفطان لتبيع للعرب.

وهم لايخافون من ثـرواتنا البترولية مادامت تتحـول الى قصور وترف ونعـومة ، فهم يلتقـون بهذه الثـروات فى مصايـف الريفيرا وتنيس ومـونت كارلو وهم يحصدون هذه الثروات على موائد القمار فى لاس فيجاس.

ولكنهم يخافون من رجال كالـزوابع يحاربون تحت الجليد فى سراييفو ويتصدون للدبابات والمدافع بأسلحة قـديمة وقنابل مولوتوف.. ويخافون من رجل مثل عـزت بيجوفتش .. حليق يـرتدى البـدلة مثلهم ولكنـه صلب كالفـولاذ لايساوم ولا يتراجع ويرابط فى موقعـة تحت وابل من الصواريخ والقـذائف مع عصبة قليلـة من الـرجـال آثروا الموت على الحيـاة واشتروا الأخرة بالدنيا.

هذه هى الروح التى يخافونها ويحسبون لها الف حساب.

وهم يخافون ذلك الكتاب الذى يتحدث بصوت الفطرة فيصل الى قلوب النــاس.. ذلك القـرآن العجيب الـذى يحادثهـم بـالعقل والمنطق والبرهـان ويكلمهم بلغـة العلم وأسلوب العصر ويأتى بـالجديد فى كل قضيـة وفى كل زمان .

ذلك الكتـاب الـذى ينتشر بقـوة ذاتيـة فيـه ويكسب الأتبـاع فى صمت ودونما جهد من دعاة أو متخصصين .

ورغم هـزيمـة المسلمين فى كل مكان ، ورغـم تراجع صـوتهم وخفـوت نفيرهم.. فإن الاسلام يكسب اتباعا جددا كل يوم فى كل مكان.

هذه الظاهرة تحيرهم.

فهل يعود التاريخ الذى يمضى فى دوائر الى تكرار نفسه؟

وهل يرتفع صـوت الاسلام من جديـد رغم اصفرار شجرتـه وتساقط أوراقه.. هذا الهاجس يخيفهم ويريبهم.

والاسلام فى ذاته لا يهمهم.. ولكن الإسلام سوف يأتى ومعه الدنيا والسيادة.. والدنيا همهم والسيادة دينهم وديدنهم ولن يتنازلوا عنها باختيارهم.. وحول هذا يدور الصراع.. فهو صراع حول الأرض والسيادة.. ولكن الأديان والمبادىء فى الخلفية طول الوقت.. وقد دفعوا بإسرائيل وزرعوها فى الارض العربية وسلحوها بالقنابل الذرية والترسانة الكيماوية والميكروبية واداروا الحرب والسلام لحصار هذه الظاهرة الاسلامية وخنقها فى المهد.. وكانت السوق الشرق أوسطية آخر حبائل مكرهم ليضمنوا بقاء المسلمين رهائن للحاجة والتبعية الاقتصادية طول الوقت.. وأمطروا المنطقة بالغزو الثقافى الهابط من السماء ومن الأقمار الفضائية بكل صنوف الفنون المنحلة التى توهن العزم وتشغل الشباب بالمثير والتافه من أمور الجنس.. وحاصروا المنطقة بالمؤامرات ولطخوا وجه الاسلام بالجرائم واشتروا الذمم هنا وهناك لتفجر القنابل وتقتل الأبرياء تحت مسميات اسلامية مشبوهة.. وتحت رحى هذا الصراع الدائر نعيش ونتقبل ما يجرى فى سلبية ونتعامل معه فى استسلام ونقف موقف المتفرج الذى يحاول أن يفهم وقد سيطرت علينا الدهشة والبلادة.

ومازلنا نحاول أن نفهم ونربط الظواهر بعضها ببعض لنكتشف الى اين تسير سفينتنا ، أو الى أين يسار بها.

ولكن الله من ورائهم محيط وهو رب الكون وصاحب السلطان الأوحد الذى يصرف الرياح ويحرك الزوابع ويطلق السيول ويفجر الزلازل ويوقظ الموتى من القبور ويبعث العزائم فى القلوب ويجعل المستحيل سهلا والصعب هينا.. وبالله نؤمن وبه نستعين.

●●●

يتصور حكام الدنيا الأقوياء أنه لا منافس لهم وأن حكمهم نافذ ولا مبدل له ولا مهرب منه ، والحقيقة أن الفرد منا تتجاذبه أكثر من حكومة دون أن يدرى.. بل هو يسبح دون أن يعلم فى عالم من الحكومات الخفية.

الشيطان وذريته حكومة خفية توسوس له بالشر وتورده المهالك ، والملائكة الحافظون حكومة أخرى تسهر عليه وتحفظه وتلهمه بالخير

ومافيا المخدرات والفساد والرشاوى حكومة أخرى تخرب وتدمر كل ما يبنيه العاملون الشرفاء.

والاسكندر الاكبر قتلته بعوضة ، كان جلاده طفيل اسمه الملاريا لاتراه العين.

والفيروسات حكومات عجيبة لاترى حتى بالمجاهر القوية ، وأحد فرسانها قتل عشرين مليون ضحية فى وباء الانفلونزا سنة ١٩١٩ (أكثر من مائة ضعف ما قتلته قنبلة هيروشيما الذرية) وعطسة واحدة اذا فاجأت عجوزا ضعيف العضلات يمكن أن تصيبه بانزلاق فى غضاريف الرقبة يؤدى الى شلل رباعي..

أما مسبب العطسة فقد تكون ذرة تراب أو هبأة لا شأن لها ولا وزن تسللت الى خياشيمه فى الوقت الضائع .

والملأ الأعلى وملائكة التصريف وملائكة التدبير وملائكة الانتقام والملائكة الكاتبون حكومة عليا تعمل بأمر الله مالك الملك والملكوت.

وقوم ثمود وقوم صالح وقوم لوط دمرتهم الصيحة.. صيحة ملك الانتقام فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين حتى أدركهم الموت.. وقوم عاد دمرتهم الريح الصرصر العاتية.

وإرادة الله فوق كل الحكومات الظاهرة والخفية العالية والدنية.. لاترد أحكامها ولا تستأنف.. وكل الحكومات تعمل بأذنه وتفويضه.

يقول الملائكة لابراهيم فى القرآن حينما طلب الرحمة لقوم لوط : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك.. وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » (٧٦ـ هود).

فالله سبحانه وتعالى هو الحكومة الوحيدة التى بلا ضد وبلا ند وبلا مثيل وبلا شبيه وبلا معقب.. وكل حكوماتنا تعمل من باطن حكومته..وكل الجبارين فى الأرض جنوده ينفذون غضبه وسخطه من حيث لا يعلمون ، وكل الرحماء ينفذون رحمته من حيث يظنون أنهم هم الرحماء.

ولو كشف للأنسان الغطاء وعاين الحقيقة لتمزق رعبا ولتلاشى خوفا ولانكمش وعاد كما بدأ نقطة من ماء مهين.. ولكن الله ستر عنا هذه الغيوب وأسدل عليها حجاب لطفه حتى يتم الابتلاء والامتحان وحتى يخرج

بحكمته ما نكتم فى نفوسنا وحتى يظهر مافينا من أضغان وحتى يتبين لكل منا حقيقته.. وأكثر من هذا شاءت حكمته أن يعطى كلا منا حكما فى دائرته ويهبه حرية فى مجاله ويمد له فى الأجل ويفسح له فى الفعل ليبنى ويعمر أو يقتل ويدمر.

وكل منا حكومة مؤقتة شاء أم ابى.. وكل منا مبتلى.. وكل منا سوف يستدعى فى أوانه وفى ميقاته.

والسعيد منا هو الذى يعلم هذا يقينا.. ويطلب من الله التوفيق الى الخير والسداد فى الأمر.. والناجون هم أهل الخوف والخشية.. الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وتذكروا من هو رب العالمين فى عظمته وجلاله وسطوته.. ومن هم فى دونيتهم وغرورهم .

افلال
وكوكايين وخلافه

المسلسل الأمريكي .. الجرىء والجميلات .. هذه السهرة البريئة التى يتجمع لرؤيتها الملايين كل ليلة .. ليس فيها أى صفه من صفات البراءة فموكب الجميلات فى هذا المسلسل يتنافس فى الانحلال وفى فعل كل شىء .. وجرعات الانحلال تقدم الى المشاهد تباعا فى عبوات من الزينة والبهرج ليبتلعها دون مقاومة وهو مسترخ فى فراشه .. والبطء والإملال يعملان كمخدر موضعى لينام ضمير المشاهد وهو يتجرع هذه الوجبة المسائية .. والتكرار والاعادة يختمان على القلوب كلما أفاقت ويسذكران العين كلما نسيت .

وليس فى المسلسل فن رفيع ولاقيمه غالية ولامعنى نبيل .. وانما كل ما هنالك شهوات ومثيرات تأخذ با لمشاهدين الى أسفل ، الى بدروم الغرائز والى حضيض الحواس . والذى أحبوا هذا المسلسل .. تعلقوا به تعلق المدخن بالسجارة والمدمن بالصنف، والمنكرات كلها والرذائل جميعها تجرى فى هذا المسلسل أمام المشاهد فى بساطه جرى العادةوالأمر الواقع الذى لاغرابة فيه ولااعتراض عليه فيخرج المشاهد بمعنى ثابت هو أن هذه هى الحياة المثلى عند الناس الأكابر ، وأن العفة والطهارة والفضيلة والوفاء والاخلاص كلام عفى عليه الزمن ، وأن الأخلاق علامة تخلف وبقايا رجعية والشعار المستمر طوال المسلسل .. انه لا أخلاق .. ولا حرج ولامانع فى عمل أى شىء .. عانق وانكح مادامت تسمح .. لاخيانة هناك فى أن تخطف زوجة أخيك أو ترى زوجتك فى فراشه .. فهذه أمور طبيعية .

وفى الحلقات القادمة سوف تكتشف بطلة المسلسل أنها حامل من أبيها .. هكذا فى بساطة شديدة .. وماذا فى ذلك ؟ . ألم تذكر التوراة أن بنات

النبى لوط سقين أبيهن خمرا حتى ثمل وضاجعنه لينجبن أبناء كما تفعل كل النساء .. (وهو بعض ماكتبه اليهود بأيديهم وأضافوه الى توراة موسى) وهم مازالوا يكتبون ويزيفون ويفسدون وصاحبنا كاتب المسلسل وضع كومة من القاذورات الخلقية فى كرنفال من الزينة وفى بوتقة من عروض الأزياء الجذابة ومحفل من الجميلات .. وربات البيوت يتابعن فى بلاهة تلك العروض ويبتلعن مافيها .

ومانراه منذ شهور هو جرعة معدة بتفكير وتدبير ومجهزة لإغراق وافساد وتفكيك بنائنا الاجتماعى ونحن نشتريها بأموال دافعى الضرائب وندخلها الى بيوتنا اختيارا ونتجمع كل ليلة لنمضغ سمومها .

والذى يظنون أنهم بتقديم هذا المسلسل سوف يحدون من غلو الموجه الدينية هم على خطأ .. فانهم سوف يستفزونها .. ثم أن الموضوع ليس موضوع الدين ولكنه موضوع التقاليد والاعراف والبناء العائلى والأسرى والاجتماعى .. واذا انهدم البناء الأسرى والاجتماعى انهدم كل شىء وكاتب المسلسل يهدم أشرف ماورثناه .. فى بساطة .. وهو يبتسم .. ثم هو مستمر كل ليلة فى الهدم وهو يبتسم .. ونحن نتفرج ونبتسم فى براءة حيث لابراءة .. ونستمر فى الفرجة لمجرد قتل الوقت .. ونقتل أنفسنا مع قتل وقتنا . والمسلسل مستمر لألف حلقة باقية ولعدة سنوات رغم ماكُتب ونشر من آراء الصفوة والنخبة فى نقده وهو أمر عجيب .. وهو يدل على أن هناك حالة اغماء عام .. وانه لا أحد يقرأ لأحد .. ولا أحد يفكر فى صالح أحد وان الكل ماض فى قتل الوقت .. وقتل نفسه .

ولاشك أن بين الوارد من الانتاج الغربى الوفير هناك الكثير مما هو أفضل .. هناك المسلسلات العلمية وهناك المسلسلات التاريخية .. وهناك المادة الوثائقية .. وهناك انتاجنا الفنى وليس كله رديئا .

ونحن متفقون ولاشك على أهمية وظيفة الترفيه التى يقدمها التليفزيون ولكن بإحياء الوقت وليس بقتل الوقت، ومتفقون على أن الترفيه الأمثل هو الترفيه الذى تحيا به القلوب وليس الترفيه الذى تموت به القلوب .. ومتفقون على أن التليفزيون جهاز خطير يمكن أن يصنع الرأى العام

ويمكن ان يضلله ويمكن أن يرفع أذواق الناس ويمكن أن يهبط بها ولهذا يجب أن يكون مكانه أمام الجماهير وليس خلفها يقودها ولا تقوده هو المنبر الفنى الوحيد الذى لايخضع لجمهور الشباك ولايلتفت الى مطالب الشباك .. ولايصح أن يستمر فيه مسلسل لمجرد أن الجمهور عاوز كده .

ولقد عشنا مسلسلات دلاس وفالكون كريست ونوتس لاندنج والجرىء والجميلة وكلها تعزف على نغمة واحدة هى انحلال المجتمع الأمريكى وغرقه فى مستنقع الجنس والمخدرات والجريمة.. مع تفاوت .. فقد رأينا فى دالاس فنا وحبكة وحرفة بينما كان الجرىء والجميلة أى كلام .. ولكن الكل كان يعزف تنويعات من نفس المقام النغمى الهابط .. ومن حقنا ان نطلب فتح نوافذ اعلامنا العربى على هواء نقى .. نريد أن نتنفس فنونا أخرى نقية .. شبابنا فى حاجة الى قيم ومثل تعينه على المجالدة التى يعيشها .. وقد شبع حتى التخمة من هذا المستنقع الأمريكى العفن .

ان التليفزيون الأمريكى والسينما الأمريكية لم تعد تعبر عن حضارة شابة وانما أصبحت تعبيرا صارخا عن حضارة عجوز تتفسخ وتلفظ انفاسها .

ان نجوم الذروة فى أمريكا الآن هم شوارزنجر بطل العنف المطلق ومادونا بطلة الجنس الفاحش ومايكل جاكسون رمز التخنث والشذوذ والعبث .. وهؤلاء هم النجوم الذين يتربعون على القمة .. فهل يقدم هؤلاء فنا أم يقدمون انحرافا .

وأمريكا هى الآن تكنولوجيا وعضلات ولكن لاشىء آخر ..

وعلينا أن نبحث عن منافذ فنية أخرى نأخذ منها ونتلقى عنها .

اننا جميعا سوف نسأل عما نضع فى هذه الشاشة الصغيرة التى يتجمع حولها ملايين المشاهدين .

ان الكلمة أمانة .. ولم تعد الصحافة هى الوعاء الأول للكلمة وإنما أصبح الوعاء الأول هو التليفزيون والشاشة الصغيرة التى تطل منها الكلمة مجسمة وملونة ومشخصة وأحيانا معزوفة وملحنة فى نفس الوقت.. ثم بعد مسافة طويلة تأتى الصحافة .. ثم أخيرا الكتاب . إن

التليفزيون الذى تصدر كل وسائل الاعلام وأوشك أن يكون فى مقام نبى هذا العصر .. تحول فى دول كثيرة إلى مسيخ دجال هذا الزمان.. فهو القناة الأولى للسلطة وهو البوق الرسمى للحزب الحاكم ثم هو لمن يدفع أكثر من طلاب الاعلانات وما يبقى من وقته يكون للترفيه وقتل الوقت .. وأحيانا لتضليل المشاهد وحجبه بالكلية عما يجرى حوله .. هكذا كان الحال إلى وقت قريب .. ولكننا دخلنا اليوم فى مرحلة إعلامية جديدة وخطيرة هتكت فيها الحجب وهَجمت محطات البث التليفزيونى من الأطباق والأقمار الصناعية لتقذف بالحقائق فى وجه الجميع ولتقدم ألوانا من الفن أفضل وأرقى وأحيانا أسوأ وأفحش.. وسوف يتطلب هذا التنافس الشرس من الكل إعادة النظر وتجويد البضاعة وعدم إخفاء الحقائق .. ولهذا كانت وقفتنا الطويلة اليوم فى هذا البند .. بند تجويد البضاعة وحسن الانتقاء .. سواء كانت البضاعة محلية أو مستوردة .

وطلب آخر هو ختام البرامج فى الساعة الثانية عشرة على الأكثر وتوفير المال وتوفير الكهرباء وتوفير طاقة المشاهدين ليناموا مبكرا وليصحوا مبكرا خاصة فى الريف العزيز الذى يصحو فيه الفلاح مع الشمس ويهرول التلميذ لمدرسته فى الثامنة وينهض العامل لمصنعه فى النجمة .

والفلاح الجديد الذى يسهر الآن مع البرامج للرابعة صباحا وينام إلى الظهر لن يكون فلاحا .

ولن يكون العامل عاملا ولا التلميذ تلميذا وسوف ينام معهم الإنتاج وينام العمل وينام التعليم وتتوقف عجلة الحياة النافعة .

وعشاق السهر عندهم الأطباق والأقمار الصناعية ينتقون منها ما يريدون .

وذوو الأعصاب الخربة الذين لا يواتيهم نوم لا يدخلون فى خطة البرامج العامة وإنما يدخلون فى اختصاص وزارة الصحة .

وفى الماضى كان أبناؤنا وأمهاتنا هم الذين ينشئوننا ويربون فينا عاداتنا وسلوكياتنا .. ولكن فى هذا الزمان العجيب أصبح التليفزيون ووسائل الاعلام هى الأب والأم وهى التى تقوم بتربيتنا وهى التى تغرس

فينا عاداتنا الحسنة والسيئة .. وهى مسئوليات جديدة تقع على القائمين على هذه الأجهزة .

والمهمة شاقة والحمل كبير .. وقلبى مع وزير الاعلام ومع لجان وضع البرامج .

وأحمد الله على أنى لست وزيرا للاعلام .

العدل يا وزير العدل

هناك ٣٥ حكما بالاعدام على تجار مخدرات فى إدراج مكتب وزير العدل وهى أحكام قضائية على جرائم ثابتة ضبطت فيها المخدرات وضبط المجرمون متلبسين .. ومع ذلك لم ينفذ حكم واحد من هذه الأحكام .

وفى عام ١٩٩٢ وحده بلغت قيمة المضبوطات أكثر من ثلاثين مليون جنيه .

وكنا نظن أن عدم تنفيذ الأحكام كان بسبب عدم تصديق رئيس الجمهورية عليها ، ثم علمنا أن تصديق رئيس الجمهورية مثله مثل رأى المفتى .. استشارى .. وأن رئيس الجمهورية إن لم يصدق على الحكم خلال خمسة عشر يوما يعتبر موافقا رغم عدم مصادقته .. ولكن الضرورى بحسب نص القانون هو أن يصدر وزير العدل أمره بالتنفيذ .

والسؤال هو : لماذا لم تتحرك يد وزير العدل لإصدار الأمر بإعدام هؤلاء المجرمين ؟ ولماذا ظلت هذه الأحكام فى إدراج مكتبه طوال هذا الوقت .. بينما تصدر أوامر بسرعة لإعدام أى مجرم قتل فردا أو أفرادا .

وهل تاجر المخدرات الذى يقتل شعبا ويدمر جيلا جريمته أهون من قاتل الفرد فى نظر القانون وفى نظر السيد وزير العدل .

وإذا استقر الأمر على أن عقاب هؤلاء المجرمين الذين يدمرون شبابنا ويحطمون أولادنا بالمخدرات سيكون عقابا شفويا وإعداما صوريا على الورق فقط ثم عدة سنوات فى سجن خمس نجوم .. فأى ردع سوف يردعهم ويردع غيرهم عن المضى فى تخريب بلدنا وهدم مستقبلنا .. ؟ !! ولماذا يخصهم السيد وزير العدل بهذه المعاملة المتميزة .

مجرد سؤال .. ؟ !

وإذا كان السبب هو بطء التقاضى وسلحفائية التنفيذ .. فلماذا لا تنظر هذه القضايا أمام محاكم عسكرية شأنها شأن جرائم الارهاب .. وهل كارثة المخدرات أقل شأنا من كارثة الارهاب .. وهل الحزم فيها غير مطلوب.. وهل قتل مسئول حكومى أخطر من قتل أمة .

أم أن لبارونا ت المخدرات الذين يعملون من وراء الستار .. قدم فوق القانون وفوق المحاسبة .

نريد أن نطمئن أن بلادنا لن تتحول إلى مسرح للمافيا مثل إيطاليا وكولمبيا وبوليفيا والمكسيك ، وأننا لن نرى فى يوم من الأيام أمثال «جوليانو أماتو » رئيس وزراء إيطاليا الذى وقف يشد شعره أمام التليفزيون وهو يهتف : هناك أربعة آلاف وخمسمائة مدير ووزير ثبت أن لهم علاقات بالمافيا .. هذه ليست إيطاليا .. هذه غابة .

لا نريد أن نعيش اليوم الذى يحدث هذا فى مصر .. ولفتة أخرى إلى سيل المخدرات الذى لا ينقطع والذى يدخل مصر من طريق سيناء وآخر حادث تهريب نشرته الأخبار فى صفحتها الأولى كان عن ضبط أربعمائة كيلوجرام من الحشيش فى منطقة رأس سدر .

وكل المخدرات تأتى الآن من سيناء من عند الحبايب الجدد .. بارونات الحشيش والأفيون والكوكايين الذين يزرعون ويصنعون المخدرات ويروجونها تحت الحماية الاسرائيلية وتحت علم الصداقة والوفاق فى كامب ديفيد .

وهذ بعض ضرائب الصداقة الجديدة وبعض نفقات التطبيع .

وعن الديوقراطية

أعلن كلينتون تأييده لبوريس يلتسين مباركا الحصار الذى ضربه على البرلمان .. كما فعلت نفس الشىء بريطانيا وفرنسا وبقية دول أوروبا .. الكل وقف مع يلتسين ضد البرلمان مؤيدين ما يفعله من تهديد وحصار النواب المائة المسجونين والمقطوع عنهم الماء والكهرباء والطعام والاتصالات بكل أنواعها ثم حرق البرلمان ومصادرة الصحف .

وعجبت كيف تخلت كل تلك الدول الديمقراطية عن حماسها

للديمقراطية فجأة وأيدت القمع الذى يمارسه يلتسين لنواب برلمانه وصحافة بلده وكيف نسيت مبادئها تماما وانحازت مصالحها .

هذه الميكيافيللية السياسية والحربائية الأخلاقية التى تتلون وتتبدل بلا مبدأ سوى المصلحة الوقتية ، وهذه الذمة المطاطة التى تقول بالشىء وتفعل ضده فى نفس اللحظة .. فهم يعاقبون الصين على ما فعلته فى حصار الثورة الشعبية فى ميدان « تيان من » ويقولون أن هذا سلوك شائن وضد الديمقراطية ثم يباركون فى نفس اللحظة ما يفعهل يلتسين من حصار للبرلمان وتجويع وتهديد لنوابه وإنذاره باقتحام المبنى بقوة السلاح !! أين الديمقراطية التى كانوا يتشدقون بها إذن .. وأين المبدأ ؟!

ونفس الشىء مع حقوق الإنسان .. فهم أسود الغابة ضد العراق وليبيا وسوريا لشبهة مخالفات هنا وهناك لحقوق الإنسان .. وهم عمى صم بكم عن الإجرام والاغتصاب والاعتقال والتعذيب الذى يجرى يوميا لمسلمي البوسنة ، وأكثر من ذلك يسلحون الباغى ويعينونه على بغيه بينما يحظرون السلاح على الضحية .

ونفس الشىء مع أسلحة الدمار الشامل فهى محرمة ومحظورة على كل الدول العربية وهى حلال على إسرائيل ومسموح بتكديسها ومضاعفتها وتنويعها من كل صنف ولون .

وهؤلاء هم أرباب الحقوق الذين يحرسون الحقوق وتضيع معهم الحقوق فى عالم آخر زمن .

والمستقبل

والغزو الثقافى الذى نعيش فيه وسيطرة نماذج الفن الهابط ومسلسلات الترفيه وقتل الوقت التى تغزو أعلامنا والتى تكلمنا عنها ليست وحدها التى تحتل الساحة الفنية .. فهناك غزو آخر يشعر به رواد المعرض والرسامون الشبان والمتقدمون لجوائز البينالى كل عام هو موجة التجريد والتلطيش بالفرشاة والتنقيط والتكعيب والتهبيب والرسم العابث وقاعات العرض التى تمتلىء بالزبالة والحديد الخردة وأكوام الزلط ثم تفوز بالجوائز وشهادات التقدير .. والذى فتح الأبواب لهذه الزبالة

وأشاد بهذا العبث واحتفى بهذا القىء الفنى قد ساهم بلاشك فى إفساد الأذواق وفى انحراف جيل فنى بأسره .. وهذه مسئولية وزارة الثقافة بالدرجة الأولى .

وإذا كان لهذا البلد مستقبل فأول شروط هذا المستقبل هو تصحيح المسار واختيار كوادر جديدة فيها أصالة ومصرية وولاء تاريخى وانتماء وطنى لتحرس البوابات التى يدخل منها هذا الطوفان من الإفساد الفنى والثقافى ، ومصر التى خرج منها النحت الفرعونى والرسوم الجدارية المذهلة والتى نبت منها أمثال مختار ومحمود سعيد وبيكار وصبرى راغب وآدم حنين وعبد العزيز صعب ورخا وصاروخان ومصطفى حسين وصلاح جاهين والكوكبة الرائدة من رواد الرسم والنحت والكاريكاتير هى كنز عزيز لابد من حراسته من هذا الغزو العبثى الذى يريد أن يهيل التراب على تاريخنا وتراثنا .

والتحديات المقبلة التى تنتظرنا لن تكتفى بالغزو الثقافى وإنما هناك الغزو الاقتصادى الاسرائيلى الوشيك الذى ينتظر التطبيع وانهيار السدود والقيود وفتح السوق الشرق أوسطية للأموال الصهيونية والسلع الصهيونية والمشاريع الصهيونية .

والذين يشعرون بالخوف من هذا المستقبل وينظرون فى تشاؤم إلى امكانياتنا المحدودة فى مواجهة هذا الطوفان .. أقول لهم : إن مصر لم تكن قط فى أى يوم من الأيام محدودة الامكانيات فى المواهب .

ومنذ ستين سنة حينما كانت مصر فى تطبيع عادى مع اليهود وكانت أبوابها مفتوحة لأموال الصهاينة ومشروعاتهم .. وكانت فى القاهرة محلات صيدناوى وبنزايون وداود عدس وعمالقة التجار اليهود وبنوكهم .. فى ذلك الوقت نبتت موهبة اسمها طلعت حرب بموهبته الفذة الخلاقة واستطاع أن يكتسح كل هذا الغزو الاقتصادى وأنشأ بنك مصر وشركاته المتعددة وأقام قاعدة اقتصادية جبارة تراجعت أمامها كل تلك الأموال الأجنبية واستطاع المال المصرى والاقتصاد المصرى أن يثبت وجوده .

والمناخ الذى أنبت طلعت حرب فى ذلك الوقت كان نفس المناخ الذى أنبت العقاد وطه حسين توفيق الحكيم وفكرى أباظة والتابعى ومصطفى أمين وباقى العمالقة .

كانت ديمقـراطية وحرية ذلك الـزمان هى التى فتحت السبيل لكل تلك المواهب .

والتحدى الحقيقى الذى يـواجهنا الآن ليس إسرائيل ولا اليهود .. وإنما المناخ الاجتماعى الفاسد وبقايا الاقتصاد الشمولى الفاشل والقطاع الخاسر وجيش المرتزقـة من ملايين الموظفين الكسالى والحاقدين الـذين يتفننون فى وضع المعوقـات أمام أى خطوة إلى الامام .. ويقفـون بأيد ممدودة لجبـاية الـرشاوى .. هـذه البيروقراطيـة العفنة هى التى تكبل كل حـركة .. وتسـد الطريق أمام أى موهبة .

والكلام عن إصلاح تلك البيروقراطية والـوعود بإزالتها .. مازالت مجرد وعود وشعارات وكلام جرائد .. لا نرى لـه أثرا فى الواقع الثقيل الذى نرزح تحته .

وهذه البيروقراطيـة لا تكتفى بتكبيل أيدى كل موهبة نـاجحة .. ولكنها أيضا تلد كل يوم جيوشا من المنافقين والمتملقين وحملة المباخر والمسبحين والمصفقين وتجار الكـلام وبـاعـة الأكـاذيب ومحترفى الجوائز وحملـة اللافتات .

وسوف تظل ديموقراطيتنا ومنـاخنا فاسدا حتى نتغلب بالفعل (وليس بالقول) على هذه البيرقراطية وعلى هذا النفاق الوراثى الذى دخل فى تكوين الجينات الـوراثية لهذا الجيل السيىء من عبيد القطـاع العام ومن الهاتفين بالديمقراطية .

وكان الســادات رحمه الله يقول لى دائما : لقد تـرك لى عبد الناصر تـركة من الحقد لا أعـرف كيف أتعامل معها ، والتركـة مازالت تتكاثر وتتـوالد .. وهى إحدى أكبر المعوقات أمام مستقبلنا .

ولكنى متفـائل رغم كل شىء وشـديـد الثقـة بـالمستقبل ، فمصر بلـد المواهب والعقـول الفـذة وهى أيضا بلـد الكنـوز ليس فقط كنـوز البترول والحديد والنحاس والمنجنيـز والذهب واليورانيوم ولكن أيضـا كنوز الآثار والسواحل الجميلة ثم كنوز شبابها التى لا تنفد .

وموقع مصر الجغرافى هو أكبر كنوزها .. وتاريخها وحدة كنز حكمة .

ثم إننا عبرنا سنة أولى دبمقراطية .. وغدا ندخل سنة ثانية ديمقراطية.. ونحن على الدرب السليم .

وكل من على الدرب يصل مهما طال طريقه .

التعلق
يسير
بالقلوب

فى القاهـرة اطلق مجنون الـرصاص فقتل ثـلاثة من الاجـانب فى فندق سميراميس ، وفى امـريكا بكـاليفورنيـا فى آخـر الدنيـا اطلق مجنون آخـر الرصاص فقتل سبعة .

وما يفعله العقلاء والكبار أحيانا فى هذه الدنيا .. اكثر من الجنون .

أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها لتعيـد الحاكم السابق جون برتراند ارستيد إلى هـايتى ولتخلع الحكـام العسكـريين هنـاك ثم نفـاجأ بأن المخـابـرات الأمـريكية الـ CIA هى التى كـانت تمول هـؤلاء العسكـريين وتجنـدهم كعملاء ومرشدين وعيون لها فى دولة هايتى .

قوات الأمم المتحـدة تذهب للبوسنة لنجدة المسلمين واسعـافهم بالمواد الغذائيـة والأدوية ثم نفاجأ بأنها تختطف النسـاء البوسنويات فى عـرباتها المصفحة إلى جهـات غير معلومة وتقيـم حفلات أغتصاب صـاخبة تمارس فيهـا الجنس بـالاكـراه وتحت تهديد السـلاح ويشترك فى هـذه الحفـلات الصـاخبة جنود من كنـدا ونيوزيلاندا وفرنسا واوكرانيـا ودولة افريقية لم يذكر اسمها لاخضاع هؤلاء النسوة البائسات لشهواتهم .

مـاركوس ودوفـاليه وشـاه ايران وسيـاد برى وصـدام حسين وكلهم عملاء وصنـاعة أمريكيـة مدربـة لاستنزاف ثروات شعـوبهم حتى النخاع لصـالح الشركات الاجنبية .. وقد نبـذوا جميعا بعد أداء ادوارهم وانكشاف عمالتهم وقامت الـدول الأجنبية المستفيـدة بتلطيخهم أمام الـرأى العام .. وأعلنت أمريكا حـربا دولية شاملة على رجلهـا صدام حسين .. وقتلت مائة الف من جنـوده وجـوعت شعبـه ولكنهـا ويـا للعجب .. احتفظت بـه حيـا وسليما معـافى لتخيف بـه بقيـة العرب لكى يترامـوا فى احضـانها ويقبلـوا عتباتها .. وإلا ..

سلطنة بـروناى دولـة مسلمة سلطـانها ثروتـه الشخصية ٣٣ مليـار

دولار (أغنى رجل فى العالم) آخر أخباره أنــه اشترى فندق ليونا هيلمس فى أمريكـا ذا الأربعة والخمسين طـابقا .. ومن قبل ذلك اشترى فنـدق بيفرلى هيلز بكاليفورنيا ، ومن قبل ذلك فندق دور تشستر بلندن ، وأمثاله كثيرون فى دول تعيش فـوق خط التخمة .. وإلى جـوارها دول أخـرى تعيش تحت خط الجوع .. ودول اسلامية فى خنـدق الحصار والموت .. ونساء مسلمات تغتصب .. وأطفـال تحرقهم القنـابـل أحيـاء .. ولا ضمائر تتحـرك لتفعل شيئا..

وفى أفغانستـان نقرأ أن حكمتار وربـانى وسياف وشاه مسعـود الذين قـاتلـوا السـوفيت وطـردوهم .. يقتلـون الآن بعضهم بعضـا بـالقنـابل والصواريخ ويدكون بلدهم بأمـوال وعدد وأسلحة من دول أخرى تغريهم بالانتحار .. وتشجعهم على تمزيق الراية الاسلامية التى حاربوا باسمها .

وفى أيـرلنـدا يقـاتل الكـاثـوليك والبروتستـانت بعضهم بعضـا تحت مسميات الاستقلال والحرية .

امـا العلم الـذى تقـدم فى عصرالفضـاء ومشـى على القمـر ورحل الى الكـواكب فإنـه الآن يـرسل اقمارا صناعيـة للبث التليفـزيـونى تـذيع على المشاهدين فى كل مكان افـلام العرى والفحش والعهر والمباشرة الجنسية .. كما يحاول استنساخ الاجنـة فى المعامل وتخليق جيوش من التـوائم لمجرد العبث (فهناك انفجار سكانى فى العالم لا يحتمل المزيد) .

والمصـانع لوثت البحـر والبر والجو وخـرقت ادخنتها غـلاف الاوزون الـواقـى .. والبحـر الابيض المتـوسط تحول الى بحيرة مجارى ومستنقع للصرف الصحى لاكثر من عشرين دولة .

والجيش الـروسى يبيع اسلحتـه وترسـانتـه من وراء ظهـر الحكومـة الروسية .

والمافيا الجديدة تسرق اليورانيوم المخصب وتتاجر فى العلماء .

والحكومة الالمانية تقول انها تخسر مليارى دولار سنويا بسبب جرائم المافيا ، وان عدد المجرمين المعتقلين فى سنة واحد مائة الف .

واكبر تجمع لانتـاج المخدرات وتصنيعهـا نجدة فى تـركيا وافغـانستان

وباكستان وكلهـا دول اسلامية ، والتجمع الثانى فى دول امريكـا اللاتينية بوليفيـا وكولمبيا والمكسيك واخـواتها ، وأربح تجارتين فى العالم هما تجارة المخدرات وتجارة السلاح وارباحهما تكفى لاطعام كل الجوعى وكسوة كل العـريانين وتعليم كل الاميين وتشغيل كل جيـوش البطالـة فى العالم لعـدة اجيال .

ولكن ذلك لم يحدث ولن يحدث لأنها ثـروات شريرة تتكاثـر فى محضن الشر ، وكل من ربح مليونا يريـد أن يربح عشرة ، وكل من ربح عشرة ، يريد أن يربح ألفا .. ولا نهاية .. ولا أحد يفكر فى أحد .

وفى بلادنا العربية تغرى الوعود التى تلوح بها اسرائيل لخصوم الأمس .. بأنهار الدولارات والاسـواق والمشروعات المشتركة والمعونـات السيالة .. بنسيان القضية .. فيهرول الكل الى الاعتاب ولا يسأل احد عن الانسحاب .. ويوقع الكل على مجرد الوعود .. ويرتضون بالاشارة والله اعلم بالعبارة .

فما الغـرابـة يا سـادة والمنطق يسير بـا لمقلـوب فى ان يصـاب البعض بالجنون .

انما العجب كل العجب يا سادة ان يظل الواحد منا محتفظا بعقله .. وان يستطيع تجميع هذه المعلومات وان يضعها مرتبة على الورق .. وان يصرخ باعلى صوته : افيقوا ايا الناس يرحمكم الله .

كيف تفعلون بانفسكم كل هذا .. وأنتم غدا ميتون .. ثم امام الله واقفون ثم لا يبقى لكم بعد هذا الا نياتكم وما تعملون ..

وانا معكـم اننا نعيش فى فوضـى .. وان الجنون هو الـذى يحكم .. وان الشياطين هم الـذين يقودون العالم .. ولكن منذ متى وفى اى زمـان ومكان كانت هناك عدالة وكان هناك سلام وكانت الدنيا جنة ؟! .

منـذ الاسرة الاولى فى التـاريخ ادم واولاده .. قتل قـابيل هـابيل .. وقتل اليهود انبياءهم .. واباد الامريكان الهنـود الحمر.. واختطفت بريطانيا ١٥ مليـون افـريقى وبـاعتهم فى اسـواق النخـاسـة واستعملتهم فى بنـاء الامبراطورية .. ثم جاء مسلسل الفرس والروم والهكسوس والمغول والتتار

والوندال ومسلسل حروب الابادة حتـى القاء القنبلة الذرية على هيروشيما .. ومازال كل هذا حيا فى اذهاننا ..

نعم هنـــالك فـارق كبير بين الامس واليـــوم .. بـالأمس كـــان اقصـى مـايستطيع السيف ان يفعل ان يقتل فردا واحـدا وكذلك الحجـر والعصـى والسهم ..

اما اليـوم فالقنبلـة الذريـة قتلت مـائة وخمسين الفا فى لحظـة واحدة ، وخلفت الوفا بلا عدد للسرطان والحروق والتشوهات والموت البطىء ..

والقنبلة الهيدروجينية سوف تقتل الملايين بلمسة زرار !

وبـالامس كان الخبر يـركب حمارا ويصلنـا بعـد شهور .. وكـانت كل اطراف الارض معزولة بعضها عن البعض كالجزر العائمة ..

واليوم تصلنا الاخبـار بأسرع من البرق ويتصل العالم كله عبر الاقمار ويتحادث ويتشاجر ويشـاهد بعضـه بعضا على الشاشات التليفـزيونية فى لحظتها .. والظلم يهاجمنا فى عدة اماكن فى وقت واحد .

نعم .. الظلم كان فى حـالة عـرض مستمر منـذ ادم .. ولكن العرض الآن درامى وفاجع ولحظى ومكثف ويـاتينا من كل اطراف الدنيـا فى ذات الوقت وينقض على حـواسنا واعصـابنا ويفجـر دمـاغنا فـلا يملك الواحـد الا ان يصرخ مستنجداً : رحمتك يارب ..

نعم لم تعـد هناك وقايـة من الجنون ولا حـافظ من الانهيـار سوى ان يلوذ الـواحد منا بـالله وان يتشبث بايمانه .. فلم يـرد الله بالدنيـا ان تكون سلاما أو راحة أو جنه ، بل وصفها بـالدونية وقال انها دنيا وأنها دار بلاء ودار عبـور ومرور وتـرنزيت وانـه لا قـرار فيها ولا سكن .. وانما القـرار عنده.. والقرآن كله اوامر بالصبر على بلاء الدنيا عبر سبعمئة واحدى عشرة صفحة هى مجموع صفحاته ..

وجاء الامر المباشر بـالصـبر اكثر من مائة مرة .. وليس مجرد الصبر بل الصبر الجميل ..

« فاصبر صبرا جميلا » (٥ ـ المعارج) .

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا » (١٠ ـ المزمل) .

« قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل» (١٨ ـ يوسف)

والصبر لا يكـون جميـلا إذا اتصف بالقبـول والتفهم وسعـة الصـدر وادراك الحكمة واليقين بالآخرة وتوقع المثوبة .

ولايكـون الصبر جميـلا إلا بمعرفـة الله وحسن الظن بـه .. ولا يكـون جميلا إلا إذا اقترن بالشكر « صبار شكور » ..

والصبر الجميل شهـادة اسـلام حقيقى لمن يقـدر عليه ، وطـوق نجـاة وحيد فى عصر مضطرب يتزلزل فيه كل شىء ..

ولا أقـول لكل شـاب : لا تفـارق مسدسك .. بـل أقول لـه : لا تفـارق سجادة صـلاتك .. فـالصبر والصلاة هما حـارسـاك ولا غير ، إذا أردت أن تحتفظ بعقلك فى مهب الريح ..

وأقول لـه : انى نقبت فى كتب الطب والحكمة والفلسفة فلم أجد عـلاجا غير ذلك للحفاظ على سلامة العقل وسكينـة النفس فى زمان أصبحت الحياة فيه ملاحة صعبة فى بحار بلا شطآن .

ولعله المخاض الذى يؤذن بميلاد جديد والظلام الذى يبشر بالفجر .

ولعل الله وقد كلفنا المزيد من الصبر قد أراد لنا المزيد من الأجر ..

ولنحسن الظن بالله فهذا خلق المؤمن ..

وهذا أفضل الزاد للمقبل على سفر طويل ..

وكلنا هذا المسافر ..

أما الـذين فقدوا الايمان وفقـدوا الصبر فليس أمامهم إلا بـاب البار فى الدنيا وباب النار فى الآخر وراحة الجنون فى الترانزيت .

وكان الله فى العون ..

رجل بألف مليون رجل

اسمـه جورج سـوروس ـــ يهودى مجرى ـــ مليارديـر تبرع بخمسين مليون دولار لمنكـوبى البوسنـة والهرسك وخصص هذا المبلغ لبنـاء محطة مياه تحت الأرض فى سراييفـو لا تستطيع الصواريخ والقنابل أن تدمـرها ، واستجلب لها المهنـدسين والخبراء والمعدات وسـوف تبـدأ هذه المحطـة فى العمل خـلال أيام وسـوف تقـوم بشفط المياه العـذبـة من النهر ثم تقـوم بعمليات التنقية والترشيح والفلترة ثم تضخ الميـاه النقية الى البيوت وبذلك

تضمن لثلاثمائة وخمسين ألـف مواطن بوسنى مسلـم محاصر حصته من المياه الصالحة للشرب .

هذا العمل الخير والنبيل قام به رجل واحد وأنفق عليه من ماله الخاص ، وكـان مجموع مـاتبرع بـه مساويـا لما تبرعت بـه ٤٧ دولـة اسلاميـة فى مؤتمرها الأخير « خمسين مليون دولار من ألف مليون مسلم !! »

وقد رأيت هذه المحطة على شاشات الـ .C.N.N منذ أيام .

وسألوا الـرجل عن الدافع الـذى حدا به الى هـذا العمل فقال : إننى أرى المجازر والمذابح التى فعلها هتلر باليهود تتكرر أمامى مع المسلمين ، وهذا أمر لايجوز أن نسمح به أبدا .. هذا أمر شائن ..

وظهر فى صوته التأثر الشديد وهو يقول بنبرة متهدجة :

وللأسف يوشك المعتدى أن يفوز بثمرة عدوانه والعالم ساكت يتفرج !

واحترمت الـرجل ودعوت لـه من قلبى أن يتقبل الله عمله وأن يجعلـه فى ميزان حسناته يوم القيامة ..

وربنا الكريم لاتضيع عنده المروءات ولا يضيع الاحسان .

ولم يذم الله عامة اليهود إلا واستثنى منهم القليل من أهل الصلاح .

« فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم » (٢٤٦ ـ البقرة)

ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » (١٣ ـ المائدة)

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم » (٢٤ ـ ص)

وهؤلاء القليل هم الأعمدة والأركان التى يحفظ بها الله الأرض

وتمنيت أن يكون من أغنيـائنا ـ وهم كثير ـ من يفعل مثلـه مع منكوبى البوسنة .

وليس الكـرم وحده هـو الذى أثـار اعجـابى وإنما حسن توظيف هـذا الكرم ومتابعته للمال حتى أثمر عملا ثمينا وخدمة ثمينة هى انقاذ ثلاثمائة وخمسين ألف محاصر من الموت عطشا فى صقيع لايرحم ..

نعم .. مازال فى الدنيا خير ..

ومازالت جديرة بأن نحياها ..

●●●

أعجب القضايا

لا حديث فى الشارع الأمريكى اليوم إلا عن هذه الزوجة العجيبة التى اغتصبها زوجها فى الفراش « هكذا تقول » فانتظرت وهى تطحن أضراسها من الغيظ حتى نام ثم أتت بسكين المطبخ وقطعت عضوه الذكرى .. واستيقظ الزوج البائس على المصيبة وهو غارق فى دمه وذهب يصرخ للبوليس ورفع قضية اعتداء جنائى على زوجته .. وتصدرت القضية الصفحات الأولى فى جميع الصحف .

وفى حوار على شاشة الـ C.N.N مع جمع من الزوجات الأمريكيات قالت احداهن : برافو هذه الزوجة قامت بعمل بطولى وانتقمت لجنسنا الضعيف المهضوم .. هذا عمل تاريخى وقضية تاريخية .

ولاشك أن الكثير من الأزواج فى أمريكا يرتجفون الآن رعبا من احتمالات المستقبل ، والكثير من الشباب سوف يفكرون أكثر من مرة قبل الاقدام على الزواج خوفا من أن تتكرر أمثال هذه البطولات ..

أما القضية الثانية فهى فضيحة مدوية اهتز لها المجتمع الكنسى فى أمريكا وأوربا وأصبحت حديث الشارع الأمريكى والصحف الأمريكية .. فقد تقدم الشاب ستيفان كوك الى النيابة يتهم كردينال شيكاجو جوزيف برناردين بالاعتداء عليه جنسيا .. وقال وهو يبكى أمام الـ C. N. N إن الكردينال غمره بالهدايا وانه لم يستطع أن يقاوم رغبات رجل فى مقام دينى عظيم وفى هيبة الكردينال .. وقد أنكر الكردينال هذه الاتهامات جملة وتفصيلا وقال : انها تخيلات فى ذهن مخبول ..

اما ستيفان كوك وهو طالب فى جامعة سنستاتى فيصر على اتهامه ويقول : ان أقل مايجب على رجل دين فى أعلى منصب فى الكنيسة الكاثوليكية مثل الكردينال هو أن يعترف بالحقيقة ويستقيل ويترك منصب الكردينالية لمن يستحقه ..

وستظل أمريكا بلد العجائب !!

الإسلام الغائب

أحيانــا لا أصدق وأنــا أرى ما يحدث فى البــوسنة أن هنــاك ألف مليون مسلم فى العالم .

وأقــول لنفسى أين هم ؟! ولا أحلم بأن أراهم جيــوشــا زاحفــة .. وإنما فقط أريد أن أسمع صوتهم .

إن الإسلام لاشــك غائب عن المعــركة .. إنه يحارب فى الضمائر ويقــاتل على الورق ويكــافح فى ميكروفونات المســاجد ولكن لا وجود له خــارج هذه الحدود .

الإسلام كأخلاقيــات وقيم ومبادىء ومثل وإنسانيات رفيعــة وشهامة وصدق وأمانة وشجاعة لا وجود لــه فى الساحة .. وإن وجد فوجود شاحب خافت النبرة .

والــدول الإســلاميــة بعضــهــا محتل وبعضــهــا تــابع وبعضــهــا مــدين وبعضــهــا عميل وبعضــهــا منكفىء على نفســه وبعضــهــا يضرب بعضــهــا ، وبعضــهــا غارق إلى أذنيه فى مشاكله وفقره وتخلفه .

والجماعات التى تحمل السلاح وتقــول إنها جماعات الجهاد الإســلامى وطــلائع الفتح والناجــون من النــار والتكفير والهجرة . كلهــا لا تنتمى إلى الإسلام وإنما تعمل لحســاب أعدائه وتفجر القنــابل عشوائيــا فى الشوارع لتدمر بلادها وتلطخ الراية التى تحملهــا لحساب الذين يدفعون هنا وهناك من بلاد عربية وأجنبية ولتشبع أحقادا لا تشبع .

الإسلام غــائب عن المعركة .. ولا وجــود له إلا فى عيون دامعــة ونفوس مكبوته وقلوب كظيمة .. ومشــاعر فواره لا تجد لها مخرجا سوى كلمات ..

لا إلــه إلا الله .. لا حول ولا قــوة إلا بالله .. حسبنـــا الله ونعم الوكيل .. إنـــا لله وإنا إليه راجعون .

ولكن هذا الوجــود الغائب رغم عجزه هو القنبلة الموقوتـــة التى يخشاها الغرب لأنه يعلم بمقــدار هذه الطاقة المحبوســـة فى ذلك الكيان الذرى الهش الذى اسمه الدول الإسلامية وفى امكانية تفجر هذه الطاقة .

وإسرائيل موضوعة فى فم هذا البركان لتسكت صوته إلى الأبد .

فهل تستطيع .. ؟؟ هل تستطيع بكل ما أوتيت من سند ومدد .. ؟؟

إن فكرة السلام وفكرة ترويض الثــورة الفلسطينية وفكرة فتح الشـهية للدولارات والمعونات بالتلــويح بالسوق الشرق أوسطية لضخ أنهار المال فى فــوهة البركــان لملء البطون بــالـدنيا ولــذائذها واسكــات الضمائر وشغل النفوس الهائجة بــالتافة من القول .. كلها أفكــار ذكية وهى فى دور التنفيذ حاليا .

ومن لا تسكته تلك الــرشاوى يمكن أن تسكته طلقة مســدس تشيعه إلى مقره الأخير وهــو ما يجرى بــالفعل .. ومن لا ينفع فيه هــذا ولا ذاك سوف تتكفل به الأقمار الفضائية بسهرات حمراء ممتعة إلى الفجر .

كل هذا عظيم وعبقرى وشديد الــذكاء ولكن الحسابات هذه المرة سوف تخطىء لأنها لا تتعــامل مع آلات وأنظمـــة ميكــانيكــة وإنما مع بشر .. مع شىء اسمه الإنسـان .. والإنسان لغــز لا يمكن التنبؤ بشكل قطعى بالحركة التى يمكن أن يقــوم بها فجأة .. لأن نيــاته غــير داخلــة فى الحســاب .. وهى غيب لا ينفع فيه الكــومبيوتر .. ثــم إن وراء الإنسان غيبا أعمق وأخطــر هو الذات الإلهية التى خلقته وهى من عالم الإبهام الــذى لا قبل لأحد بالإحاطة به .

والمخططون الكبــار للفتن قــد أراحوا أنفســـهم من هــذه المتــاهات فهم لا يــؤمنون بها وهم شــديــدو الثقة بحســاباتهم المادية وكــومبيوتــراتهم (السوبر كومبيوتر يحسب ٤٥٠ مليون عملية حسابية فى أقل من ثانية) .. هكــذا يقــولون .. وهــم فرحــون بما عنــدهــم من العلم .. ومن هنــا ســوف يؤخذون .

وهذه هى الثغرة التى لم يحسبوا حسابها .
يقول ربنا فى كتابه :
فلما نسوا ماذ كروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٤ ـ ٤٥ الأنعام) .
هذه قصص الأقوام الغابرة وكيف قطع الله دابرها.
ولكن التاريخ يكرر نفسه فى سنن مطردة .
(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (٤٣ ـ فاطر)
وما حدث فى الماضى سوف يتكرر
(وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)(٨ ـ الإسراء) .
وما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع
وما بلغ القمر ذروة اكتماله إلى عاد هلالا فى المحاق .
وما بلغت دولة قمتها إلا بدأ العد التنازلى للسقوط لهاويتها .
وما بلغ الإنسان غاية شبابه ونضجه ورجولته إلا ونادته شيخوخته
وفى كل حضاره بشرية جرثومة فنائها .. وهى تنخر فيها ببطء حتى تأتى على بنيانها كله فيتهاوى على الأرض دفعة واحدة .
والسعداء الذين سيمتد بهم العمر إلى السنوات العشر القادمة سوف يشهدون تغير الأحوال وتبدل الأقدار ،وسوف يرون ما لا يخطر لهم على بال ، وسوف يفهمون كلمات الله المحكمات فى قرآنه العظيم :
(وتلك الأيام نداولها بين الناس)
ومن يضحك أخيرا سوف يضحك كثيرا .
والصبر طيب .

السلام العجيب

وهو سلام عجيب فعلا ، فعدد القتلى من الفلسطينيين الذى تحصده رشاشات المستوطنين اليهود فى غزة والضفة أضعاف العدد الذى كنا نسمع عنه أيام حرب الانتفاضة .. والمعتدون هذه المرة هم اليهود والبادئون بالشر هم الجانب الإسرائيلى .. فأى سلام هذا .. وإذا استمر

الجانب الفلسطينى يـرد من منطق الجانب الأضعف ، وإذا ظلت الصـــلابـة الفلسطينية تتهاوى تحت الوعود الوهمية بالسلام .. فإن النتيجة لن تكون إلا مزيدا من التراجع حتى يصبح ظهر الجميع إلى الجدار .

وإذا كان الفلسطينى يريد السلام بالفعل فليعلم تماما أنه لن يأخذه إلا بالقوة وإلا بأن يرد الصــاع صاعين وليس بأن يتخاذل ويتمسح بأنصاف الحلول وبأوهام الانسحاب .

إن الصرب فى البوسنة يتفاوضون على السلام ويضربون .. والمسلمون يجلسون على مائدة السلام ويلتحمون بـالسلاح الأبيض فى الميدان .. وهذا منطق العصر الظـالم الدمـوى الـذى نعيش فيه .. لا كسب لشبر واحـد إلا بالدم حتى على موائد المفاوضات .

فلينفض يـاسر عـرفـات ذلك الفراش الـوثير اللين الـذى استسلم فيـه لأحلامـه وليعاود الكفاح من مـوقف القوة لا من موقف التخـاذل والملاينة واستجداء المعونـات من هنا وهناك . وإذا كان يـريد الصلح فلن يجده إلا غلابا وبالسـلاح الأبيض .. ولينظر إلى مقـاتلى « حماس » باعتبارهم جناحه الآخر الذى يفاوض به وليس خصومه الذين يطاردهم لتصفيتهم كما يريد أحبابه الجدد .

إن العالم الـذى نعيش فيه هو مع التفـاؤل الشديـد ساحة للمصـارعة الحرة .. أمريكـا واليابان والصـين مصارعـون من الوزن الثقيل .. وإنجلترا وألمانيا ودول أوروبـا من الوزن المتوسط .. وكـوريا وسنغافورة وتـايوان وهونج كونج من الوزن الخفيف .. والأفارقة من وزن الذبابة .

وأحيـانا تـدوخ الذبـابة الفيل .. ومن أنـواع الذبـاب ذبابـة تسى تسى القاتلة .

ولا مانع من الأحلام أحيانا ..
والغائب لن يطول غيابه ..
ولا شىء كثير على الله ..

السياسة بلا أخلاق

تفاصيل التحقيق مع وزارة تاتشر فى صفقات السلاح التى كانت تبيعها لصدام حسين حتى أواخر عام ١٩٩٠ كشفت النقاب عن أسرار كثيرة مثيرة

وراء كواليس السيـاسـة البريطانية .. والكـلام لإذاعة B. B. C لندن وليس من عندنا .

والحقائق تقول إنه فى أشد أوقات حظر السلاح على الأطراف المتقاتلة فى الحرب العراقيـة الإيرانية كانت بـريطانيا تخرق هـذا الحظر (مع أنها هى التى أصـدرت هذا الحظـر وشـددت عليه) وكـانت تـورد السلاح لصـدام حسـين عبر أكثر من شركة من شركات السلاح البريطانية .

وحينما كانت مسز تاتشر تشتم صدام حسين على شاشات التليفزيون تلك الشتائم المقـذعة التى كنا نسمعهـا فإنها كانت تمده بالأسلحـة الثقيلة عن طريق الأردن .. وحينما كـانت تتحدث فى فزع عن المدفع العمـلاق الذى يصنعـه كـانت فى نفس اللحظـة تمده بـالمواسير الصلب التى يصنع بها مدفعه.. وكان صدام قد اكتسح الكويت بجيشه .

وحينما سئل الوزير المسئول عن هـذه الفزورة قال : إن المصالح شىء والتصريحات شىء آخـر .. وفى عـالم السياسـة ليس كل مـا يفعل يقـال .. ومصلحـة بـريطانيـا كـانت فى إمـداد صـدام حسـين بالسـلاح لأسبـاب اقتصاديـة حتى لا تذهب دولاراته إلى شركـات أخرى منافسـة ، ولأسباب أخـرى هى المصـالح السياسية البريطانية فى المدى البعيـد .. انتهى كلام الـ B. B. C

وأظن أننـا جميعا نعلم الآن تلك المصـالح السياسيـة فى المدى البعيد .. وهى أن يطمئن صدام أكثر وأكثر إلى الصداقـة البريطانية وإلى مدد السلاح الـذى لن يتوقف (رغم الشتـائم والاتهامـات على شاشـات التليفزيـون) فيتوغل أكثر وأكثر فى عدوانه ويأخـذه الغرور بأنه مسنود وأن عنده جواز مـرور إلى أرض الكـويت وبـذلك يقع فى الفخ المرسـوم حيث كـان الحلفـاء يجهزون المذبحـة النهائية لجيشه ومعـركة التدمير الشامل لأكـوام العتاد الحربى الـذى بـاعوه لـه بـالأمس ، وهى مصلحـة أخرى فى المدى البعيـد فسوف تعمـل المصانع البريطـانية والأمريكيـة من جديـد لتعويض مـا تم تدميره وكلـه مكسب مادام العـربى ذو الدشداشـة هو الـذى سيدفع ثمن التدمير وثمن الإصلاح وثمن السلام الجديد المطلوب .

وهكذا نـامت الأخلاق وأخـذ الشرف أجازه وأملـت ا لمصلحة ضروراتها وتكلمت مسـز تاتشر فى التليفـزيون بلغـة وتكلمت بينهـا وبين بوش بلغـة أخرى .. وصرحـت للصحف بتصريحات وباشرت فى غـرفة القيـادة السرية أوامر أخرى تماما غير تلك التصريحات

وأظن أن مـا أذاعته الـــ B. B. C هـو أبلغ رد على الذين أنكـروا الجانب التآمـرى فى ا لحرب العراقيـة الكويتيـة ، ومن قبل ذلك فى الحرب العـراقية الإيرانية .

ويبدو أنها سنة قديمة فى البرتوكول السياسى للدول الكبرى أن تشـترى المجرمين وتصنعهم وتربيهم ليكـونوا حكاما أشـاوس أمثال صدام حسـين وسيـاد بـرى ومـوبوتـو ومـاركـوس ودوفـاليـه وليكونـوا عمـلاءهـا فى مستعمراتها التى رحلت عنهـا واستقلت اسميا وظاهريـا . وليكونوا أدواتها لبقاء مصالحها وكلمتها ونفوذها إلى الأبد .

وهكذا السياسة دائما بلا أخلاق .

وفى النكتـة القديمـة التى قالها تشرشل تلخيص ذكى لكل هـذا .. حينما كان يتجول فى المقابر ورأى شاهد مقبرة من الـرخام مكتوبا عليه : هنا يرقد السياســى العظيم والرجل الصــادق الأمين فلان .. فقال تشرشــل فى دهشة :هذه أول مرة أرى فيها اثنين يرقدان فى تابوت واحد ..

فقـد كـان من المستحيل فى نظـر تشرشل أن يكـون السيـاسى العظيم صـادقا .. ولابد أن يكون هناك رجل آخر فى التابوت بجواره .

وتشرشل أدرى منا ولاشك بأمور السياسة .

ولا أعمم فلكل قاعدة شواذ والعلم عند الله .

على عزت بيجوفتش

فى كل يـوم يكسب المقـاتل العنيـد على عزت بيجـوفتش احترامى أكثـر فـأكثر .. فنحن أمام طراز من القادة العظـام من أمثـــال « هوشى منــه » لا يضع سلا حه أمام الجبروت ولا ينحنى أمام التهديد .

رجل عنيـد صلب لا يتراجع ولا يضعف ولا يتردد ولا يهادن ولا يـداهن رغم أن الموت يحاصره والصواريخ تتساقط عليه والقنابل تتفجر حوله .

إن وحشية الصرب التــى بلغت أقصى مداهــا لم تترك لأحد فى البــوسنة اختيارا .. فمادام الموت قادما فلنقابله بشرف .

إن قلة الزاد وضعف العتاد ليستا ذريعة لقبول الذل .

إن كل العائدين من البــوسنة يقولــون إن القسوة والنذالــة الصربية لم تقتل الإسلام هناك وإنما بعثته من مرقده عاتيا عصيا .

وأمــام اليأس والموت وعــدم النصرة من الدول الإســلاميــة اتجهت كل القلوب إلى الله وحده ..

كلهم يقولون : الله وحــده هو القادر على أن ينجدنــا .. وسوف يجعل لنا مخرجا .

وفى إيمان عجيب يركعون ويسجدون ويصلون ويحملون المصاحف .

وفى إيمان عجيب يقبلون فى هدوء كل ما تأتى به المقادير .. ولا يخشــون انكســارا ، ولا يأبهون بهزيمــة .. ويقــولــون نحن نقــاتل لأن قتــال الشر واجب وما يجرى علينا هو أمر الله ونحن نقبله .

وفى ساعات الفراغ يتعلمون العربية ويحفظون القرآن .

وفى وسط الموت والــدمــار تستمــــر الحيــاة فى سراييفــو .. الجامعــات مفتوحــة والطلبة يذهبــون لتلقى العلم .. والموظفون يذهبــون إلى مكاتبهم بــانتظــام رغم إنهم لا يتقــاضــون رواتبهم .. والأطفــال يلعبــون الكــرة فى الملاعب .. ويسقط القتلى ويدفنون .. والأحيــاء يأكلون حشيش الأرض إذا لم يجدوا ما يأكلونه .. وتمضى الحياة فى إصرار وكأن لا شىء حدث .

وفى كتاب يحيــى غانم المراسل الحربى لــلأهرام .. « كنت هنــاك » يقرأ القارىء صــورة مشرفة لشعب بطــل سوف يظل صــامدا مقاتــلا لعشرين شتاء قادم .

وبين الصفحات المشتعلــة .. يشعر القارىء أن الإسلام الغــائب سوف يعود .. وسوف يملأ الدنيا نورا من جديد.

هذا الوزير الفرنسى

وزير الدفاع الفرنسى يجتمع بمسئولين عسكريين فى اسبانيا وايطاليا ويقــول انــه بصــدد تكــوين جيش طــوارىء من الــدول الثــلاث لمواجهــة

الاصوليـة الاسلامية .. لا يقـول الارهـاب الاسلامى أو التطـرف الاسلامى بل يقول الأصـولية الاسلاميـة التى أصبحت العدو الـذى يهدد الحضارة الاوروبية على حد قوله .

الا يعلم هذا الـوزير أن المملكة العـربية السعـودية هى مهد الاصـولية الاسـلامية وان ايـران تحكمهـا اصوليـة اسلاميـة وأن بـاكستان ولـدت كإصولية اسـلامية .. وأن أزهر مصر هو قلعة الأصوليـة الاسلامية ومثلها قلعة الزيتـونة فى تونس والقرويين فى المغـرب والنجف فى العراق .. وأن كل مفكر وكل كاتب اسلامى فى بـلاد المشرق هو اصولى اسلامى بالضرورة .. وكل ساجد وراكع هو مسلم وصولى .

الا يرى السيد الوزير الذى يتكلم من موقع المسئولية ما يفعله التحالف الاوروبى الصربى للمسلمين فى البوسنة وجريمة هذا التحالف الذى يتألف من فرنسـا وانجلترا وروسيا واليونان ورومـانيا والفاتيكان والـذى تدعمه امريكـا بسكوتها .. هـذا التحالف الـذى عجز عن سحق الجيش البـوسنى المسلم الصغير الذى يحارب ببنادق قديمة رغم عدوان مسلح شرس استمر قرابة السنتين يضرب هذه الحفنـة الصغيرة الصامدة من الجو ومن الارض بالصـواريخ والقنابـل .. ولم يكن فى البوسنـة اصوليـة ولا اصوليين وانما بضعة اثـار اسلامية ومكتبـات ومآذن ينطلق منهـا صوت (الله اكبر) على استحياء فى ربـوع اوروبا وكانت هذه هى جـريمتهم الوحيدة التى عـوقبوا عليها .

وارادوا خنق هذا الصوت وهدموا المآذن ودمروا المساجد ولكن الصوت ارتفع دويـه .. وصرخة الله اكبر جلجلت من حنـاجـر ثلاثمائة الاف جنـدى كلما انطلقت رصاصة .. والذين لم يكونوا اصوليين اصبحوا اصوليين ومن كـان لم يصلى اصبح يصلى ومـن كـان لا يعـرف القـرآن اصبح يحتضن المصحف فى صحوه ونومه .

الا يكتفى السيـد الـوزير المسئـول بهذا العـار الاوروبى وهـذا الحلف المخجل الـذى تحالف بالنـار والـدمار والسـلاح والعتاد على شعب اعـزل محاصر تحت الجليـد .. فيعلن عن تكوين قـوات تـدخل سريع من فرنسـا

واسبانيا وايطاليا للتصدى للاصولية الاسلامية فى جنوب البحر المتوسط (وهو جنوب ممتد بطول مصر وتونس وليبيا والجزائر والمغرب وعمقا الى السودان والنيجر وتشاد وارتريا والصومال) .

ما هذه الرائحة الصليبية اليهودية التى تفوح من فم وزير فرنسى متحضر وما هذه الكتائب الجديدة التى سوف تتصدى للاصولية الاسلامية ..

وهل استطاعت الصهيونية ان تستنفر غزوة احزاب اخرى يجتمع فيها الاحمر والابيض والاصفر على قتالنا .

لقد كدت اكذب اذنى وانا اسمع اذاعة لندن تعلن عن هذا التشكيل العسكرى الجديد .

ولكن يبدو ان النذر تتجمع فى الافق باسرع مما نظن .. والمواجهة الاولى ستكون فى الجزائر غالبا .

ولكن ماذا فعلت الاصولية الاسلامية المغلوبة على امرها والمكسورة الجناح لتخيفهم الى هذه الدرجة .. ؟!

اما اننا اقوياء ومخيفون ولا نعلم من امر قواتنا شيئا .. ؟!

نعم يا سادة نحن مرضى ضعفاء الاجسام فقراء مغلوبون على امرنا ولكن بداخلنا قوة روحية هائلة لا ندرى بها ومارد نائم لا نعلم مدى قوته .

وانظروا الى المقاتل البوسنى الذى يقاتل تحت الجليد امما اوروبية بأسرها وهو لا يملك سوى الله أكبر .. وايمانا لا يقهر .. وبندقية قديمة .

وهذا الايمان هو ما يخيفهم .

هذا الايمان الذى يزلزل الجبال ولا يزول .

نعم يا سادة .. نحن مخيفون فعلا .. وقد صدق حسدهم .

ومن اجل هذا سوف ننتصر رغم جميع الحسابات التى تقول غير ذلك .

وغداً تذهب السكرة
وتأتى الفكرة

انهيار الامبراطورية الروسية فتح الباب لكلاب الصيد (صيدالأسواق) لتتهارش ويسابق بعضها بعضا على اللقمة .. اليابان العملاقة لا تريد أن توارب الباب لدخول السيارات الأمريكية ولتدفق الأرز الأمريكى .. والصين توشك أن تكون العملاق رقم ٢ فى العام القادم وعينها على الأسواق الآسيوية الهائلة، وأمريكا تغازل العملاق الصينى وتهدد وتتوعد بفتح ملف حقوق الانسان ، ثم تبعث الرسل بالتحيات المباركات من كلينتون لاقتسام اللقمة الكبيرة الموجودة .. والسوق الأوربية المتحدة تخشى من الابتلاع الأمريكى وتصر على شروط «الجات » وعلى التنافس مع الأمريكان بمنتجات زراعية مدعومة وبالتالى أرخص سعرا..وأمريكا ترفض وتصر على الرفض .. وألمانيا غارقة فى مشاكل الوحدة الألمانية ونفقاتها وهى تنظرفى رعب الى أجر العامل فى ألمانيا الذى تجاوز الـ ٢٥ دولارا فى الساعة وإلى أجر العامل فى الصين الذى يقل عن دولار وتحسب حساب المنافسة الجديدة الخاسرة مع عالم النمل .. ولكنها تحتشد وتتربص وتنافس فى اللعبة بصناعة متفوقة ومارك ألمانى زهيد الثمن ..ثم عيون الكل على أسواق الشرق الأوسط وخطة الجميع ان تظل دول الشرق الأوسط جميعها عبيد إحسان ورهائن تخلف وعصابات يقتل بعضها البعض وتشترى السلاح من اليمين والشمال ، والخطة المستمرة هى الايقاع بين العرب وايران ، واتهام ايران بأنها وراء كل قنبلة تنفجر فى أى شارع عربى لإشعال حرب إسلامية امتدادا لما حدث باشعالهم لحرب عراقية - إيرانية ثم لحرب عراقية - كويتية، وتدمير السلاح العربى ثم إعادة توريده، وتدمير المدن ثم إعادة بنائها فى سلسلة من العمليات

وتضاعف المال الأجنبى، وتعالج البطالة عندهم وتسد فائض العجز فى خزائنهم وترمى بنا نحن فى حضيض الديون وفى هاوية الربا والفوائد المركبة والخراب .. ونحن نصادق على كل مايصلنا من وكالات أنبائهم .. فإذا قالت ان العدوان على رئيس وزرائنا تدبير إيرانى قلنا فى ببغائية : نعم هو تدبير ايرانى .. رغم أن كلامهم يناقض تحقيقاتنا التى تقول : إن التحريض والأموال قادمة من أفغانستان !. وعصابة أفغانستان ـ كماهو معلوم ـ تمويلها من المخابرات الأمريكية الـ CIA وهى فى قبضة المخابرات الأمريكية منذ أن كانت تعمل لحسابها فى حرب أفغانستان ضد السوفيت .. وأكبر ضبطية للمتفجرات ضبطت فى سيناء منذ أيام وسيناء ممر اسرائيلى وملعب لنشاط الموساد وليست ملعبا لنشاط إيرانى .. وكل المخدرات المهربة تأتينا من سيناء عبر الغردقة الى الصعيد .. والذين يعجبون كيف يكون الموساد الإسرائيلى وراء تمويل الإرهاب الاسلامى .. أقول لهم وأذكرهم : كيف كان هنرى كورييل اليهودى وراء تمويل الشيوعية المصرية .. وكيف كان المال اليهودى وراء كل الفتن فى التاريخ ؟!

ولكننا ننسى كل هذا ونأخذ مايأتينا من وكالاتهم الاخبارية وكأنه نبأ منزل من السماء.

وقد جاء الوقت الذى نفيق فيه ونعلم أننا فى حرب حقيقية وأننا الفريسة التى يطلبها جميع الأكالة .. وان هناك حصارا لكل ماهو اسلامى ..واتهاما لكل ماهو اسلامى .. وفى هذه اللحظة التى تقرأون فيها هذه الكلمات .. هناك ألوف المسلمين المحاصرين يموتون تحت الجليد فى سراييفو وموستار وتوزلا .. ومحظور انقاذهم ، وجميع معابر وطرق الامداد بالمعونات مسدودة وعليها جنود صرب أو جنود كروات .. وأوربا ضالعة فى هذه الإبادة وأمريكا متحالفة بالسكوت .. مع أنها تصرخ كل يوم وتندب وتولول على ضحايا طائرة لوكاربى وعددهم مائتان وخمسون ، وقتلى البوسنة مائتان وخمسون ألفا ، والمطاريد الهائمون منهم ثلاثة ملايين آدمى .. ولو كانوا ثلاثة ملايين كلب لتكتل العالم لإنقاذهم ولخرجت مظاهرات جمعيات الرأفة بالحيوان ولمشت مسيرات جماعات الخضر

والحفـــاظ عـلى الـثروة الـحيوانية ولطبعـت ملايـين المنشـــورات عن الـ biological diversity وخطر انقـراض نوع الكلاب من الدنيا ومسئولية الجنس البشرى عن الأحباب الكلاب المهددة بالفناء .

ولكن مـواطنو البـوسنـة يتجمدون ويمـوتـون من الصقيع فى صمت عالمى مريب يشى بالتآمر والجريمة الشمولية التى اشترك فيها الجميع .

وسوف يعـاقب الجميع ولن يذهب دم هـؤلاء الضحـايـا هدرا .. فـالذى خلق الكـون وجعل كل ذرة فيه بميـزان وكل مجرة بحساب ومقـدار .. هذا الخالق ـ سبحانـه ـ لايعبث ولايفرط ولاينسى ولايهمل .. والبراءة لن تهدر والاجرام لن يغفر .. والديان لا يموت ..

وهل رأيتم الكترونـا يفلت مـن مـداره دون أن يعطى شحنـة تسـاوى حركته وهو الكترون تافه ؟ !

فكيف يتصـور هؤلاء المجـرمون الغـلاظ انهم سوف يفلتـون .. ونحن نعيش فى عالم يحكمه إله لايضل ولا ينسى ولايخطىء ولايظلم مثقال ذرة .

ومن أجل هـذا فإن علينـا كشهـود عصر ألا نخدع أنفسنـا وألا نـداهن الظلمـــة وألا نسير فى ركـاب الجبــارين وألا نسكت على حق مهضـــوم .. فالاقويـاء لن يظلوا أقوياء ، والضعفاء لن يظلواضعفـاء .. والتاريخ يقول : إن هنـاك بحـارا ومحيطـات أصبحـت صحـارى ، وصحـارى تحولت الى وديان خضر .. وأن هناك جبارين بادوا وامبراطوايات فنيت .. وان كل باطل يزول ولا يبقى إلا الحق .

ودبلوماسيـة اتقاء خطر الأشرار وتجنب مصادمة الأقـوياء ربما كانت دبلوماسية سليمة ولكن ليس الى درجة ظلم النفس وخداع الذات ..وكماقلت نحن الفـريســة التى يطلبها جميع الاكـالـة ..وعلى الأقل لايصح أن نـؤكل ونحن فى غفلة .. لايصح أن نؤكل ونحن نشكر الأكـالة ونبارك الأيدى التى تفترسنا .. وهناك حـد أدنى من الوعى مطلوب لنرســم لأنفسنا استراتيجية سليمة .. وحد أدنى من الايمان لنحتفظ بثقتنا وشجاعتنـا ومعنوياتنا عالية فى طوفان الأحداث.

وعمر الباطل ساعة والحق حاكم الى قيام الساعة.

وانظروا تحت أرجلكم.. تجدوا تراب خمسة عصور وبقايا خمس مدن وآثار خمس حضارات تحت تراب القاهرة.. حضارة فرعونية وحضارة اغريقية وحضارة فارسية وحضارة رومانية وحضارة إسلامية.. وربما تحت أقدامكم الآن بقايا درع مكسورة كان يلبسها فارس مغوار وبقايا مكحلة كانت تكتحل بها أميرة تمشى فى موكب فخم ، وأكاد أسمع أصوات المواكب ونفير الجيوش تحت التراب.. والعرس وضيوفه والقاتل والقتيل والظالم والمظلوم فى حفرة واحدة قد استووا ترابا.

لاشىء فى الدنيا يساوى أن نكذب أو نخون أو نظلم.

لاشىء يدعونا لأن نخاف.. والخائف سوف يتمدد الى جوار الذى يخاف منه بعد قليل ، والجبان لن ينجو من الموت والرعديد سوف يسبق الشجاع الى حتفه.. وسوف تتفكك هذه البنايات وتنهار تلك العمائر الجميلة كأنها ديكور من ورق اللعب ، وسوف تزول هذه الزخارف كأنها نقش على الماء.. ولن تبقى إلا شواهد قبور.. ثم تغور الشواهد فى التراب أو الرمال.. ثم لايبقى أسم ولا رسم.

والذى يعى هذا جيدا سوف يقبل على الدنيا بجسارة وسوف يخوض أحداثها بقلب من حديد ، وسوف يقول الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، وسوف يبسط يده بالخير لايخاف فقرا ، وسوف يواجه البأس لاتزلزله الزلازل ولا تحركه النوازل.

وهؤلاء هم أهل الاحسان الذين يعبدون الله كأنهم يرونه ويتعاملون مع الموت كأنه رفيق حاضر وصاحب مصاحب منذ الميلاد.

فأجتهدوا أن تكونوا من هؤلاء لتدين لكم الدنيا وتسلم لكم الآخرة وقولوا الحق يرحمكم الله.

إخـــلاء طـــرف

قرأت لأكثر من كاتب فى أكثر من صحيفة فى الآونه الاخيرة كلاما كثيرا يستنكرون فيه اتهامنا للغرب ولأمريكا فيما تفعله إسرائيل ومايقترفه الصرب والكروات فى حق مسلمى البوسنة ، وما يجرى للعرب ولبترول العرب بعد حرب الخليج..

ويقول هؤلاء الكتاب : إن الغرب برىء وأمريكا بريئة وطاهرة اليدين من جرائم إسرائيل ومن وحشية الصرب ومن عدوان الكروات ومما جرى للعرب وبترولهم وثرواتهم فى حرب الخليج ، وأن الكلام عن تآمر الغرب هو نوع من تبرئة النفس وإخلاء الطرف ولا يوجد دليل واحد على هذا التآمر الغربى، وكل ما فى الأمر أننا مغفلون وجهلة وأعداء لأنفسنا وقد جلبنا على أنفسنا الدمار بهذا الجهل.. وفى النهاية نحاول أن نعلق هزيمتنا وفشلنا على شماعة التآمر الغربى.

وهو كلام جزاف وغير موضوعى.. فما حدث أن كتبت عن الدول الاسلامية وأزماتها الا وبدأت كلامى باتهام النفس وبالاعتراف بأن المسلمين متخلفون وجهله وكسالى وسلبيون وأعداء أنفسهم . ولكن الوقوف بالاتهام عند هذا الحد من إهانة النفس وتبرئة ذمة الآخرين مما يجرى على الساحة هو جريمة ، والأدلة التى يطلبها أصحابنا لإدانة الغرب واتهام أمريكا ظاهرة للعيان وهى موثقة تاريخيا ولا تحتاج الى مستندات..

ألم تعط انجلترا وعد بلفورلليهود ومكنت لهم من وضع أقدامهم فى فلسطين.

ألم تسمح أمريكا بالترسانة العسكرية النووية والكيميائية والميكروبية لإسرائيل وحظرتها على العرب وطاردت الحكومات بالتفتيش فى كل شبر عن أى شبهة فى سلاح نووى أو كيميائى أو جرثومى؟! ألم تساندها بكل شىء من الرغيف الى الصاروخ الى التكنولوجيا المحظورة الى السوبر كومبيوتر الى الفيتو المستمر الذى يحيمها من أى عقاب.

وحتى سنة ١٩٩٠ من كان يمد صدام حسين بالسلاح حتى طفحت مخازنه بالأسلحة من كل لون؟ ، ومن أعطاه الإذن ليبدأ بالعدوان على ايران ثم يمده بالسلاح ويستمر فى إمداده ثمانى سنوات فى حرب استنزاف اسلامية ـ اسلامية متصلة.. من ياسادة.. الغرب.. أم الشرق؟!

ولقاء السفيرة الامريكية ابريل جلاسبى بصدام.. ومسودة الحديث الذى دار بين الاثنين والذى أعطى الضوء الأخضر لصدام وشجعه على أن يمد عدوانه الى الكويت.. وهى المسودة التى أشار اليها روس بيرو وطالب

الـرئيس بوش بإطلاع الشعب الأمريكي عليها.. هذه المسودة التى إختفت.. واختفت معها ابريل جلاسبى من السلك الوظيفى كله.

وفى البـوسنـة والهرسك من الـذى أصدر الأوامـر بحظـر السـلاح على مسلمي البوسنـة ؟!.. أليست هى الأمم المتحدة وقـالت ساعتهـا إن الحظر عـام على الصرب والمسلمين . قـالت هـذا وهى تعلم أن تحت يـد الجيش الصربى كل ترسـانة الجيش اليوجوسـلاف الذى جهزه تيتو بـالإضافة الى مصانع الصلب والـدبابات والسـلاح.. ثم لاشىء تماما على الجانب المسلم سوى بنادق قديمة..

وكيف يمكن تسميـة مـايفعلـه الصرب هنـاك حـربـا عـرقيـة .. وهـم يحرصـون على تدمير كل مسجد ونسف كل مئـذنة وتدمير أى مكتبة أو أثر اسـلامي .. وكيف تكون تلك الـحرب عـرقيـة وهـم جميعا سـلاف بعضـهم أسلم فى الماضـى وبعضـهم مازال على مسيحيته ؟ .

وبعـد انهيـارسعـر البترول فى الأسـواق هل يستطيـع العـرب حجب البترول بعض الشىء لـرفع سعره بعـد أن أصبحت مياه الخليج قـاعدة للبوارج الأمـريكية واصبحت الآبار كلهـا تحت حراسة الحلفاء الأمـريكان وأصبحت أرادة الأوبك فى تسعير النفط مرهونة بمصالح الحليف.. وأصبح وجود الأوبك نفسها وجودا شبحيا أقرب الى الظل منه الى الحقيقة .

واذا تركنـا الحاضر وعدنـا الى الماضـى السعيد دعـونا نسـأل : هـل جاء نابليون الى بـلادنا بدعوة وتذكـرة ضيافة .. أم جاء بـالأساطيل والبوارج ودخل علينا غزوا ؟!

وهل احتلت انجلترا القنال بالمراسلة أم بالمدافع ؟

ومن اختطف خمسـة عشر مليون افريقـى ليبيعهم فى أسواق النخـاسـة وليأخذهم عنوة فى السلاسل لبناء الامبراطورية البريطانية ؟!

ومن أبـاد الهنـود الحمر وأخـذ أرضـهم وبـلادهم وأسماهـا الولايـات المتحدة.

ومن قـام بـالعـدوان الثـلاثى الغـادر على مصر فى ١٩٥٦ الشيـاطين والاشباح .. أم الغرب المتآمر ممثلا فى فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ..؟

وهل مايجرى فى الحاضر الا ابن شرعى لما حدث فى الماضى .. وبعد كل هذا نسمع من يبرىء الغرب ويغسل أيدى الأمريكان مما يجرى .. ويجعل منا نحن المتهمين الوحيدين والمجرمين الوحيدين والجناة الوحيدين والأعداء الوحيدين لأنفسنا .

ونسمع من يقول : ان الحديث عن التآمر هو حديث خرافة .. ومثله مثل من يرى الشمس وينكرها ..

●●●

ولا نعفى أنفسنا .. أى والله .. رغم كل شىء ، بل نقول أخطأنا وتكاسلنا وتخلفنا وأذنبنا .. ويقف لنا نوع آخر من الخصوم الجدليين هم العلمانيون ويقولون : بل كان ذنبكم هو الاسلام نفسه .. فهو الذى ربى فيكم التواكل والتسليم والاحساس بالقدرية وعدم الجدوى من أى عمل . فكل شىء مكتوب ، وكل شىء مقسوم .. وتقديسكم لحروف القرآن جعلكم تتحجرون على مدلولاتها فلا تفكرون ولا تجتهدون ، وأصبح كل همكم هو الحفظ والاستظهار والتلقى دون فكر أو ابداع ، وآثرتم الفقر والكسل .. وتفرقتم شيعا كل فرقة تحمى نفسها بالتشدد والتطرف واختلفتم وتصادمتم وتمزقتم إربا وذهبت ريحكم ولم يعد لكم شأن يذكر .. اتركوا الاسلام واقطعوا علاقتكم به كما قطعت أوروبا علاقتها بالكنيسة فى عصر النهضة وانطلقت تسعى بالعلم وحده فغزت العالم وسيطرت على مقدرات الأرض .. اتركوا الاسلام واغلقوا عليه أبواب المساجد وتعالوا معنا ننطلق بالعلم وحده .. وسنفتح الدنيا ونغزو العالم .

وكذبوا جميعا .. فما أمرنا الاسلام بالتواكل ، بل بالتوكل ، والتوكل يقتضى من المسلم أن يبذل وسعه وأن يستفرغ همته وأن يفعل أقصى مايستطيع ثم يتوكل ويترك أمر التوفيق لله .

وما أمرنا الاسلام بالتسليم لأحد بل لله وحده ، وما جعل القدر حائلا دون العمل ، بل أمر بالعمل . وقال النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ للذى قعد عن التداوى وتصور أن مرضه قدر الهى .. قال له : تداوى فقد جعل الله لكل داء دواء .. وإنما تعالج قدر الله بقدر الله .. وكان نبينا أول العاملين ،

وقبل أن يموت كان قد دخل أكثر من ستين معركة مع المشركين ، ولو كان متواكلا لما ترك بيته ليواجه خطر الموت كل مرة .. وما أراد الله بنا أن نقف عند حروف القرآن ونكتفى بالحفظ والاستظهار والتلقى ، بل أمرنا بأن نعمل بها وأمرنا بالتفكير فيها والتدبر لمعانيها وقال فى كتابه الكريم :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٤٤ ـ محمد)

وفى كل آيا ت القرآن أوامر بالسير والنظر والتأمل والتفكر وطلب العلم .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١٠١ ـ يونس)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت » (١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ الغاشية)

وفى تلك الآيات لفتات مختصرة لكل علوم الفلك والجغرافيا والأحياء .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » (٤٢ ـ الروم)

وفى تلك الآيات لفتات لكل علوم التاريخ والتطور ..

والمسلم الصحيح هو من يستزيد من العلم كل يوم ويقول : « رب زدنى علما » .

والزهد فى الدنيا هو أن تجعلها فى يدك لا فى قلبك ، وبالتالى لاتتركها فى أيدى الآخرين ، والفقر والافتقار هو لما فى يد الله وليس لما فى يد الناس .

وفى مئات الآيات التى جاء فيها ذكر الإيمان جاء الإيمان مقرونا بالعمل: « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

ورغم أن الرسول الذى جاء بالاسلام أمى .. الا أن أولى آيات القرآن كانت أمرا بالقراءة : « اقرأ باسم ربك » .

والعمل كان أولى الشرائع التى نزلت بأوامر مكررة فى كل صفحة :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »

وحذرنا الله من التفرق وقد جمع النبى قبائل العرب بعد فرقة وحقق الوحدة المستحيلة فى الجزيرة العربية .. والاسلام كان دائما رمز الوحدة والتوحيد .. والذين فهموا الاسلام بهذا المعنى كانوا أعلاما وقادوا الدنيا وعلموها وأناروها .

ولكن التخلف جاء حينما انحرفنا عن هذه المعانى وسرنا وراء الماركسى والعلمانى وأضعنا همتنا فى الكلام والجدل ، وبهرتنا فاترينات السلع الاستهلاكية والاختراعات التى تدفقت علينا من العالم الغربى فى هيلمان من الغزو الفكرى والثقافى والفنى أفقدنا التوازن وسلبنا هويتنا ولغتنا وعقلنا وميراثنا .

ومازال الغزو مستمرا .. وله الآن سماسرة .. ودول كبرى تساهم فيه .. وأجهزة اعلامية مفترسة تدخل كل بيت بالصوت والصورة والألوان والأغنية والرقصة .. ومدفعية من الصحف والكتب والاذاعات وأقمار تنزل علينا من الفضاء بما تريد من دعايات .

●●●

والحق منتصر بإذن الله ولو طال الأجل . فإن الله لم يخلق هذا الكون للعبث واللعب .

« وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين » (٣٨ ـ الدخان)

ولكن الله يمهل اللاعبين ويمد فى الحبل للعابثين لكى نتحرك نحن ويكون لنا دور وليكون لنا مقال وليكون لنا فعل ولتكون لنا وقفة إزاء تلك المهزلة التى تجرى ومشاركة فى نهايتها .

ومائدة الله ممدوده تنادى : هل من طامع فى ثوابى؟

والكل غارق فى عسل الدنيا ، واقع فى حبائلها ، ضائع فى شباكها .. وقد غفلوا جميعا عن الموت القريب .

ذلك الموت الذى تدق أجراسه مع كل نبضة قلب هاتفة : ضاع يوم وما ضاع لن يعود .

وغدا تذهب السَّكْرة وتأتى الفَكْرة !

أهون على الله أن تهدم كعبته
من أن يقتل مؤمن واحد ظالما

الاسلام برىء من أى جماعة تستعمله للوثوب على السلطة أو اغتصاب الحكم .. والاسـلام ليس تمردا ولا فكـرا انقـلابيا .. وإنما الاسـلام دعـوة وتبليغ وبيـان بـالمنهج الأمثل للحيـاة الطيبـة وتعريف بـالله ووحـدانيتـه وعبـادته ، وتعـريف بالآخـرة والحساب ، ثم بعـد ذلك .. ليس بعد البـلاغ شـىء.. وكل انسان حر يختار ما يشاء بإرادته ..

وإذا كان المسلمـون حاربوا الـروم والفرس فى الماضـى فلتحـرير إرادة الشعـوب من جبروت الطغاة .. ومحور الاسـلام كان دائما تحريـر الإرادة وتحرير الاختيار .

لا إله إلا الله .. لا حـاكم للوجود إلا الله .. تحرير من كل الأصنـام المادية والمعنوية .. وتحرير من الأوهام والمخاوف .. ومن كل ذى جبروت .

والاسلام السيـاسى هو صنـاعة رأى عـام بهذا المعنى وليس صنـاعة ثورة تضطهد الناس أو إرهابا يطاردهم .

ولايوجد حاكم فى الـدنيا لايهتم بالرأى العام فهو يستمـد قوته من قوة الـرأى العام الـذى يقف معـه .. ومن هنا تكـون قـوة الدعـوة .. وليس من عضـلاتها .. فسـوف يحسب لها الحاكم ألف حساب لأنها صـوت الـرأى العام ومشيئتـه .. والله لم يجعل محمدا عليه الصلاة والسـلام متسلطا على الناس ولا جبارا .. وإنما مجرد مبلغ .

« وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (١٨ ـ العنكبوت)

« إن عليك إلا البلاغ » (٤٨ ـ الشورى)

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » (٢١ ـ الغاشية)

« نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار » ٤٥ ـ ق)

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » (٢٧٢ ـ البقرة)
« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٥٦ ـ القصص)
« ليس لك من الأمـر شىء أو يتـوب عليهم أو يعـذبهم » (١٢٨ ـ آل عمران)

وهذا كلام الله لنبيه الكامل الذى وصفه بأنه على خلق عظيم .

فماذا يكـون قولـه للحثالـة الإرهابيـة التى تخرج على الناس بـالمدافع الرشاشة لتهديهم .

لقد كـذبوا جميعـا ولا علاقـة لهم بإسلام ولا بـدين أى دين , إنما هم عمـلاء فى أيـد أجنبية تحركهـم .. والصحافـة التى تصفهم بـالإسـلاميين المتطرفين تشوه الاسلام وتنعته بما ليس فيه .. وهى علينا وليست معنا .

وإنما استمدت الـدعوة الاسلاميـة قوتها من القيم والمثل والأخـلاقيات التى تدعو إليها .

واستمد النبى عليـه الصلاة والسلام قوتـه من خلقه وطهارته وأمـانته وصدقه .

بل إن مفهوم المجتمع نفسه ومفهوم الوطن ، ومفهوم القومية فى القرآن ثانوى على مفهوم الفرد .

« أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به » (٩٢ ـ النحل)

إن الله جعل الأمة أداة لابتلاء الفرد وامتحانه .. لأن أخلاق الفرد لاتظهر إلا بما يفعلـه مع اخوانـه وأهله ومجتمعـه .. فالمجتمع ليس كـائنا حقيقيـا وإنما هو مجرد وجود اعتبارى ووعاء لظهور شر الفرد وخيره .

ولكن الفرد والذات الفردة هى الحقيقة الـوجودية التى من أجلها خلقت الدنيا وأقام الله المجتمعات .

والفرد هو الذى يتوجه إليه الخطاب والامتحان والحساب والعقاب .

« ذرنى ومن خلقت وحيدا » (١١ ـ المدثر)
« ونرثه مايقول ويأتينا فردا » (٨٠ ـ مريم)
« وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » (٩٥ ـ مريم)

« ولقد جئتمونـا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم مـا خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع

بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » (٩٤ ـ الأنعام)

ومعنى ذلك أن المجتمع والـوطن والقوم ليست كيانـات وجوديـة بذاتها وإنما هى ضمن مايترك ، وضمن مـايدع الفرد وراء ظهـره حينما يدخل إلى القبر وحينما يلقى الله تعالى .

والمقصود من المجتمع فى الـدنيا كان إظهـار معادن النفوس وأخـلاقها وسجاياها .

ونقف طويلا أمـام مفهوم الأخلاق الاسلامية ،فقـد اختلط هذا المفهوم كثيرا حتى على دعاة لهم مكـانتهم .. فقد نسبـوا إلى الشيخ محمد عبـده أنه قـال عنهم حينما زار أوروبا وعـاشر الأجـانب ورأى نظامـهم وأخـلاقهم : هؤلاء مسلمون بلا إسلام .. ونحن عندنا إسلام بلا مسلمين .

وهكذا نسب إلى الإنجليـز والفرنسيين أخلاقـا إسلامية لمجـرد نظامـهم وانضبـاطهم ،وهذا فهم خـاطىء .. فالنظـام والأخلاق عنـد هؤلاء النـاس مفهوم نفعى تماما كالبقال الذكى والتـاجر الذكى الذى اكتشف بفطنته أن الأمانة تكسب لـه جميع الصفقات بينما السرقة والغش والنصب لا يضمن له إلا صفقة واحدة.. فاختار الأمانة لأنها أنفع.

وهم اختاروا الأخلاق لأن لها عائدا ماديـا.. فهى أخلاق برجماتية نفعية لا شىء فيهـا لـوجـه الله وليست هى الأخلاق الاسـلاميـة التى أرادهـا الله خالصة لوجهه.

ونحن لانقف أمـام الحديث النبوى الشريف الـذى رواه الرسـول عليه الصلاة والسـلام عن المرأة الخاطئة التى وقعت على كلـب عطشان يلهث فى الصحراء فسقته فغفـر الله لها وأدخلها الجنة ، ولانفكر لم كـان هذا الثواب العظيم من أجل سقيا كلب.. ولكـن السر ليس فى مجرد العمل الصالح ولكن لأن هـذا العمل الصـالح لم تبتغ بـه المرأة سمعـة ولا أجرا.. فـلا أحـد فى الصحراء الخاليـة كان يـرى ما فعلت ولم يكن للكلـب صاحب ليكـافئها .. ولكن عملها كان خيرا خالصا .. ولم يكن له شاهد سوى الله.. نحن هنا أمام أخـلاق ربانيـة (كما يرزق الله المؤمن والكـافـر لايبتغى على عطائه أجـرا) ولهذا أثابها الله بعطاء بلا حدود.

يقول المحسنون فى القـرآن : (إنما نطعمكم لوجه الله لانريـد منكم جزاء ولا شكورا).

هنا الأخلاق الربانية الإسلامية التى يريدها الله خيرا خالصا.

« ألا لله الدين الخالص » (٣ـ الزمر)

ولايوجـد عند هؤلاء الأوربيين والإنجليـز والأمريكـان الذين أعجب بهم الشيخ محمـد عبده هـذا المفهوم المجـرد الخالص..فهم لا يقـدمون شيئـا لله،وإنما كل شىء بحساب وبدفـاتر فى صندوق النقد الـدولى وبعين ناظرة إلى ثروات البترول وإلى الفرص والأسواق هنا وهناك.

والأخـلاق النفعية.. والأخـلاق التى لاتظهر إلا مع الخوف.. والأخـلاق التى لاتكون إلانفاقا وتزلفا.. ليسـت جميعها أخلاقا إسلامية، وإنما هى فى حقيقتها لؤم وانتهازية وفطانة ووصولية وألوان من الانتفاع الدنيوى.

ولايصح أن نصف بـالأخـلاق الإسـلاميـة من لا مشروع لهم إلا النفع واغتنام الفرص واهتبـال الدنيا.. فحسبهم ما أصابـوا من الدنيا وليس لهم عند الله شىء. ولابـد أن نعترف أن هناك قطاعا كبيرا من المسلمين بـالبطاقة ممن ليس عندهم حتى هـذه الأخلاق النفعية الدنيويـة ولا هذا الانضباط.. وأنهم أقرب فى تخلفهم إلى قطيع الحيوان.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الاعـتـــــزال

الاسلام دين عمل ودين حركة ودين ايجابية وكفاح.

ومطلـوب من المسلم أن يخوض أوحال الـدنيـا ليصحلها ، وأن يعـالج خرابها ليعمره .ولكن السـؤال : ماذا يكـون الحال إذا طم الفساد وتفـاقم الشر وتعاظم الكفر واستأسـد الإجرام واستحال الإصلاح وغلب الخيرون على أمرهم؟

القرآن يجيب بأنـه ساعتها يكـون الاعتزال أمرا محمودا .يقـول القرآن مخاطبا أهل الكهف حين اعتزلوا مجتمعهم الوثنى:

«وإذ اعتزلتمـوهم وما يعبـدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته» (١٦ ـ الكهف)

ويقول إبـراهيم فى القرآن للكفار من اهلـه : « وأعتزلكم وما تـدعون من دون الله وأدعو ربى» (٤٨ ـ مريم)

فماذا كان قول ربه:

« فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق» (٤٩ ـ مريم)

لقد أثابه الله على هذا الاعتزال بأن وهبه اسحق.

ويحكى القرآن عن اعتزال مريم عن النـاس :« واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت مـن أهلها مكـانا شرقيا فـاتخذت من دونهم حجابـا فـأرسلنـا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا».

فأى تكريم علوى قدسى نالته مريم على اعتزالها.

ويوصى محمد عليـه الصلاة والسلام المسلم فى آخر أيـام الدنيا حينما يفسد الكل.. أن يلزم بيته ويغلق عليه بابه.

إن المجتمع إذا فسد وانهار فإنـه لايساوى شيئاًفى مجموعـه أمام نجاة فرد واحد.. فالفرد هو مقصود الرسالة ومراد كل النبوات.

والفرد هـو الذى سـوف يبعث وسوف يحاسب والنفس هـى الحقيقة الخالدة ومصيرها الجحيم خلودا أو الجنة خلودا.

وإنما تمتحن النفوس بالمجتمع وتناقضاته.

والاسرة والقبيلـة والجماعـة والطـائفـة والامـة والـدولـة وكل الأبنيـة الاجتماعية هى المسرح الذى تعبر فيه النفـس عن خيرها وشرها وتجلى فيه مواهبها وتبوح بمكنوناتها مـن خلال الصراع والصدام والالتحام بالنفوس الأخرى.. والمقصود النهائى هى كل نفس على حدة.. يقول الله فى قرآنه:

« ذرنى ومن خلقت وحيدا» (١١ ـ المدثر).

لن نـدخل على الله فى جماعة ، ولن نلقـاه فى شلـة.. وإنما كلهم آتيه يـوم القيامة فردا.

ولن يستطيع أحد أن يلقى ذنبـه على الآخر أو على الأسرة أو على المجتمع أو على البيئة، فكل هـذا لم يكن سوى ورقـة الامتحان التى أريـد بها إخراج مايكتمه فى نفسه.. وهى أبنية أصبحت الآن هواء لا وجود لها.

ذكرت هـذا وجالت بنفسى كل تلك الأفكار حينما كنت أحـادث المخرج الـرائد كمال الشيخ فى التليفـون وأسألـه: أيـن أنت الآن فى السينما إنى لاأراك؟ فقال الرجل بنبرته الهادئة وصوته المهذب:

— لم اعد أرى نفسى فى السينما الآن،فآثرت الابتعاد والاعتزال.. لم تعد السينما عملا محترما ولم تعد الأفلام تحض على الفضيلة أو تدعو الى خير أو تقدم عبرة ، حتى أفلام التسلية لم تعد تقدم تسلية بريئة.. أصبحت السينما كاراتيه وعنفا ورصاصا ودما وجنسا وإثارة، لمجرد الإثارة، وضحكا مبتذلا ونكات مكشوفة وتهريجا سفيه.. حتى أفلام المخدرات أصبحت تدعو إلى المخدرات، لأن مشاهد التلذذ والنشوة والغنى الفاحش تشيع بطول الفيلم.. ولانرى المصيرا المؤلم إلا فى لحظة عابرة فى النهاية فيخرج المتفرج وهو مشحون بلذة الكيف وقد نسى الباقى.. لقد تحولت السينما إلى أداة إفساد صريحة.. ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم كله.. وأعلى الأجور الأن تعطى لرموز العنف والتدمير أمثال شوارزنجر وإلى رموز الفحش والعهر مثل مادونا.. ولم يعد المخرج فى بلدنا يستطيع أن يسيطر على موضوعه أويختار مادته فى جو فنى رخيص والوان من الإنتاج تبحث عن تغطية سريعة وكسب سريع أى كسب.

هناك استحالة أن يحترم الواحد منا نفسه ويستمر فى هذه الأعمال.

واحترمت الرجل واحترمت اعتزاله.

ولاأظن الذين اعتزلوا السينما من ممثلات الصف الأول.. كانت عندهن أسباب أخرى.. إنما هى نفس الأسباب التى ذكرها كمال الشيخ.. الإنحدار العام فى مستوى المهنة.. ونفس الشيء فى المتفرج.. لم يعد هناك أب محترم يفكر فى أن يأخذ أولاده ويذهب إلى السينما.

ونفس الشيء فى مسارح الهزليات والتهريج والسهر للفجر.

هناك انحدار حقيقى وإسفاف وهبوط فى الجو الفنى العام خاصة فى مهنة السينما.

وإذا كان هناك فيلم من كل مائة فيلم له قيمة ، فإن هذا الفيلم الواحد لايمحو قذارات الأفلام الأخرى، ولا ينقذ المهنة من قاع المزبلة التى استقرت فيها.

والاعتزال هنا عمل ايجابى وليس عملا سلبيا لأنه انقاذ ايجابى للنفس من ضياع مؤكد .

إن القرآن حينما ذم اعتـزال بعض الرهبان قـال: «ورهبانية ابتدعـوها ماكتبناها عليهـم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فـآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون».

فهو سبحانـه وتعالى لم يذم الرهبـانية على إطلاقها وإنما ذم الـرهبان الفاسقين الذين لم يرعوا رهبانيتهم حق رعايتها.

وقال عن الرهبانية : « ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله» .

ومعنى هذا الكـلام أن الاعتزال والرهبـانية إن كانت ابتغـاء رضوان الله فأمرها مختلف وهى مقبولة ولها أجرها المؤكد رغم أن الله لم يأمر بها.

ولم يأمر الله بالرهبانيـة لأنها الاستثناء حين العجز وحين غلبة الفساد وإنما القاعدة هى الكفاح والمجالدة.

وأعتقد بعد أن ارتفعت الأطباق الضخمة فوق أسطح العمارات وانطلقت الاقمار الصناعية تبث أفلام العهر والانحلال.. أن الفساد يوشك أن ينقض بـلا موانع على النـاس.. وان هناك إغـراقـا مقبلا وغسيل مخ قـادما وأننـا داخلون إلى عصر رهيب.. وأننا نقترب من هذه الأيام التى قال عنها الرسول والتى يكون القـابض فيها على دينه كـالقابض على الجمر ويكون أجـر هذا المؤمن كأجر خمسين من صحابة محمد عليه الصلاة والسلام.

ونسأل الله اللطف.

القتـــل ثم القتـــل

المليشيات التى تتقاتل بالصواريخ فى كـابول وتدعى انها تفعل هذا من أجل الإسلام اقول لها: انه أهـون عند الله أن تهدم كعبته من أن تزهق روح برىء أو يقتل مؤمن واحد ظلما.. وذلك لأن الكعبـة هى البيت الرمز للرب، أمـا قلب المؤمن فهو البيت الحق.. ومـايهدم من الكعبة يمكن أن يبنى، أمـا من يقتل فمن يستطيع أحياءه.

يقول ربنا فى الحديث القدسى:

«لم تسعنى سماواتى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن».

فقلب المؤمن أوسع من السماوات والأرض، بل هـو المطلق اللامحدود فى سعته.. لأنه السر المفتوح على الملكوت ومـا وراء الطبيعة ومعدنه من معدن النفس والروح، وهو من اللطائف التى أودعها الله فينا ولا ندرى عنها شيئا.

وحينما تمتـد يد لتمـزق هـذا المحـراب وتهدم البنية التـى أقامهـا الله، وحينما تسقط الصـــواريخ وتنفجـر القنـــابل فتقتل من لا تعـــرفهم ومن لايعرفـوننا بـلا ذنب وبلا جريـرة.. وحينما تتمزق أجســاد الأطفال.. فإن السموات ترتعد من هول الاثم.

ثم نسمع من يقـول انهم متطـــرفـون إسـلاميـو ن وهم لايمتـون إلى الإسلام بسبب.

ونعجب كيف صدقـوا أنفسهم وتصوروا أنهم يعملـون لهدف إسلامى وهم يقبضـون مرتباتهم من المخابرات فى هذه الدولة أو تلك.. وكل جماعات بيشاور كـانت تعمل بقيادة المخابـرات الأمريكية ، وتقـول الـ C. N. N أن حمكتيار تقاضـى ألف مليون دولار من المخابـرات الامريكية أثناء حربه مع السوفيت ، وكان ســلاح تلك الجماعات وتمويلها أثناء قتـالها للسوفيت من المخابـرات الأمريكية.. ومـازالت العلاقـة مستمرة.. والجديد كـان دخول دول عربية لتساند هذا وذاك لأهداف ومصالح يعلمها العليم.

وأشعر بالأسى ..

مادخل الإســلام بكل هذا؟ وكيف نسمح للغـرب المتربص بأن يجر قدم الإسلام إلى هذه المباءةليجعل منهـا ذريعة ليطارد الإسلام والمسلمين فى كل مكان؟

وكيف نـرضـى أن نطعن أنفسنا بـأنفسنا من أجل حفنـة دولارات ومن أجل البقـاء فى الكراسى أى كـراسـى.. بينما الأرض كلها تسحب من تحتنـا جميعا.. ونسعى إلى حتوفنا دون أن ندرى والموت يشاركنا اللقمة كل يوم.

فهل أدرك الـذين يصنعون هـذا البلاء انهم يصنعـون مصيرهم ضمن مايصنعون.

هل أدركـوا انهم يلهثـون جـريا إلى الجحيم. وكلما أطلقـوا صـاروخـا ازدادت شهيتهم إلى هـذا اللقاء واشتعل شـوقهم فأطلقوا صــاروخا آخـر.. وماشتاقت نفوسهم للجحيم إلا لأنها بضعة منه .

وكل شـىء يحن لأصله والعياذ بالله .

ولهذا يتحدث عنهم ربهم بأنهم أصحاب الجحيم وأهلها الذين هم أهلها. هؤلاء الناس الذين تسليتهم القتل وبضاعتهم القتل وتجارتهم القتل.

ساعة الخلاص

كانت المتكلمة من البوسنة .. امرأة صوتها يتهدج من بين الدموع :

زوجى وأولادى قتلوا .. واخوتى تشردوا .. وجيرانى أودعوا المعتقلات .. وبيوتنا أصبحت كومـة تراب .. فى الحر القاتل لا نجد الماء وفى البرد الصقيع لا نجـد المأوى .. نغتصب وتهتك أعراضنـا ونقتل جوعـا وتمزق الشظايـا أجسـادنا .. تسعـة عشر شهـرا من الجحيم والـرعب المستمر .. والسـلاح ممنوع عنا حتى لا ندافع عن أنفسنا بينما هـو مبذول بكثرة لأعدائناليفعلوا بنا ما يشاءون .. لا أحد يسأل عنا .. خذلنا الجميع ولم يبق لنا إلا الله ..

نبكى ونصلى والقنابل تـدمدم فوق رؤوسنـا ونسجد على الأرض ونحن بين مقطـوع الـذراع والسـاق ومهيض القلب والفـؤاد والـدمـاء تقطـر من جراحنا .

لماذا لا يأخـذ الله على أيديهم .. لماذا لا يهلكهم . أليـس هو مجيب دعـوة المضطر إذا دعـاه ؟ ومن يصحو وينـام فى الاضطرار المستمـر مثلنا !! متى تأتى ساعة خلاصنا .

وكانت تبكى بين الكلمات وكنت أتقطع حـزنا وأسى وأنـا أسمعها وكنت أقول لها : إن الله منتقم لكم لا محالـة ، وأن عدالتـه قادمـة ولكن فى ميقاتها الذى يحدده هو .. ولله سنن ثابتة فلـو أنه عجل العقاب للمخطىء وأخذ على يد الظـالم من فوره لما كانت هناك حكمـة لآخرة ولا مناسبة لحسـاب ، ولو أنه منعـه من ظلمه لما كانت هنـاك حرية لأحـد .. وهو أمر ينـافى سنة الله فى الخلق . فقد أرادنـا الله أحرارنا .. ومعنى أن نكـون أحرارا هو أن يكـون لنا هـامش تصرف نخطىء فيه ونصيب .. وهكـذا اقتضت الحرية التى أرادهـا لنا الله .. أن يسمح لنا بأن نضر وننفع .

وهكذا سبقت كلمته بتأخير العقاب إلى أجل مسمى وهذا بعض ما علمنا القرآن .

« ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم » (٤٥ ـ فصلت)

« ولـولا كلمـــة سبقت من ربك إلى أجـل مسمى لقضى بينهم » (١٤ ـ الشورى) .

« ولو يـؤاخذ الله النـــاس بما كسبوا ما تـرك على ظهرهـا من دابة ولكن يؤخـــرهم إلى أجل مسمى فإذا جـــاء أجلهم فإن الله كــان بعبــاده بصيرا » (٤٥ ـ فاطر) .

وشكرتنى ووضعت السماعــة بيد تـرتجف وانقطع بيننا الحديث ولكن الكلام ظلت له توابع تتسلسل فى فكـرى .. فالابتلاء هذه المرة ليس للصرب وحدهم .. ولكنه ابتلاء للعالم كله ولأهل الحضـارة الغربية الذين يتشدقون بحقوق الإنسان ولسكان الجانب المسلم من الكـرة الأرضية الذين يقولون أنهم حملة كتاب الله وأنهم الوارثون للعلم ..

بل إن الـدائرة لا تدور على مسلمى البوسنـــة وحدهم بل هـــى تدور على مسلمى العــالم فى أوروبـا وآسيا وافـريقيـا فهم يقتلـون فى الهند على يـد الهنـدوس وفى كشمير وبـورمـا على يـــد السيخ والبـوذيين وفى سيرلانكـا والفلبين وليبيرا .. وفى القدس والأرض المحتلـة وغزة ولبنان تـوشك أن تبدأ المذبحة الكبرى للمسلمين على يد إسرائيل .

هذه المرة المذبحة شاملة والبلاء عام وتوشك إرادة العالم أن تجتمع على استئصال شأفة الإسلام من الأرض .

والله يكف يده عن هذا الظلم الفاجـر لحكمه حتى يفضح النيات الخافية والمبيتة فى قلوب هـؤلاء الناس المتحضرين والمتمدنين الذين كنـا نأخذ عنهم علمهم وأخـلاقيـــاتهم وثقـافتهم فى انبهـار وننظـر إليهم كـأخـوة كبـار وكملهمين وأساتذة .. يـريد الله أن يرينا هــذه العلمانية التى فتن بها أولادنا وشبابنـا والتى كتب عنها سلامــة موسى فى افتتان وإعجـاب وروجها بين أبناء جيلنا .. وجعل منها مثلا عليا آمن بها .. وضل وأضل غيره فى عبادتها .

هؤلاء الكبار حملة المثل العليا أراد الله أن نراهم فى ضوء الابتلاء الساطع كفرة فجرة طغاة لا إنسانيين .. وسفاحين قتلة .

وبمثل ما امتحنهم الله فإنه قد امتحننا نحن أيضا شعوبا وحكومات .

والامتحان مستمـر والعلمانيون منـا مازالوا يكتبـون غثاء ويـروجون غثاء ويتعبدون لقبلة انهارت قواعدها .

والذين اتخمهم الثـراء تصوروا أن ثراءهـم سيكون مانعهم يـوم ينزل البلاء .

والذين زرعوا قصـورهم فى أمريكا وفرنسا وسـويسرا وأودعوا أموالهم عبرالبحر تصوروا أنها ستكون ملجأهم يـوم تقع الواقعة .. وأنهم فى مأمن مما سيأتى به الغد .

ولكن كـارثة هـذه المرة شاملـة وهى طـامة كبرى على الإســـلام فى كل مكان .

والله يمهل هؤلاء المخططين الأذكياء ويمد لهم فى الحبل ليفضح نواياهم ويكشف فصائلهم وأجناسهم وانتماءاتهم وقبائلهم .. كما يكشفنا لأنفسنا ويمتحن إيماننا وليكتب جنده وملائكته خفـايا كل إنسان وحقائقـه .. إنه الفرز المستمر . وطاحونة البلاء هى المفرزة الكبرى .

وحينما ينتهى الفـرز ويتأكـد التصنيف ويـدون جنـود الله الكـاتبـون توجهات كل فرد مشفوعة بأعماله وأقواله حينئذ يأتى أمر الله بنصرة الذين انتصروا له وخذلان الذين خذلوا كلمتـه . وكمثل ماجاء أمر الله على قوم لوط بـالإهـلاك والفنـاء رجما ، فتـوسط النبى الأواه الحليم إبـراهيم من أجلهم لعلهم يتوبون .. فقال له كبير الملائكة : « يـاإبراهيم أعرض عن هذا .. إنه قد جاء أمـر ربك وإنه آتيهم عـذاب غير مردود » . نعم .. إنه حينـذاك سيكون الأمر غير مـردود والعذاب غير مـردود .. والشفاعـة لاسميع لها ولا مجيب ولو كانت من نبى .

ولهذا أقـول لكل من يسمع ويرى ويتـألم ، وأقول لكل من يعـانى : لا تتعجلـوا انتقام الله .. ولكن تعجلـوا مـواقفكم وتحسبوا أمـاكنكم .. ولتكن مواقفكم حيث أمر الله .

اجتمعوا على أمره وتفرقوا على أمره وكونوا ناصحين لحكامكم مرشدين لكباركم .

وحـاولـوا أن تجعلـوا من أنفسكم صفـا واحدا وليكن شعـارنـا لليـوم

وللمستقبل هو : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. فالكل متربص بالكل .
ونحن لا نعيش فى ظل نظام عالمى جديد وإنما فى فوضى عالمية كاملة وفى غياب كامل لكل المعايير ، ومجلس الأمن والأمم المتحدة هياكل فارغة تحكمها مصالح الأقوياء وتقودها القرصنة الأمريكية والنخبة الصهيونية .
ورغم هذا الحاضر المظلم فإنى شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموى الرهيب .
وعمدة الأحكام عندنا هى كتابنا والله يقول فيه : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » (٣٣ ـ التوبة) .
وجاءت الآية مرة أخرى بنفس الصيغة فى سورة الصف وهى تاسعة آيات السورة .. هو إذن وعد صدق .. وهو لم يتحقق إلى الآن ، فظهور الإسلام كان فى قريش ولم يكن على الدين كله بل كان على أديان الشرك المحلية الموجودة وعلى يهود الجزيرة ، ثم فى أيام أبى بكر وعمر تخطى الجزيرة ليزيح وثنية فارس ونصرانية الروم ثم توقف عند بوابة القسطنطينية غربا وبوابة الأندلس شرقا ولم يدخل أوروبا . وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم افريقيا وكل استراليا وباق يالعالم خارج الإسلام ونفوذه .
وبين خمسة آلاف مليون من سكان العالم هناك اليوم ألف مليون فقط من المسلمين والأربعة آلاف من الملايين الباقية من الأديان الأخرى .. فهو لم يظهر على الدين كله كما فى منطوق الآية .. بل إن الأكثرية الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر عليه لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية .
وإذا كان ما نراه الآن من مذابح للمسلمين فى كل مكان بداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإنى أعتقد أنه هنا يأتى ميقات الآية الكريمة .. فإذا انتهت هذه القوى المتآمرة فى معركتها الفاصلة مع الإسلام إلى الهزيمة فإنه حينئذ سوف يظهر الإسلام على الدين كله .. لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل .
فهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذى نحن فيه ولا تتحدث عما مضى وهى لابد تتضمن فى باطنها مواجهة شاملة ونصرا مطلقا .. وإلا فكيف

يظهر الإسلام على الدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهد من العالم كله .. إلا أن تكون هناك معركة خاتمة ونصر مؤكد يقلب الموازين ويظهر الحق .

إنه وعد إلهى إذن بنصر شامل مؤزر . ويلتقى هذا الوعد بالوعد الآخر الذى جاء فى سورة الإسراء والذى قضى الله فيه لبنى إسرائيل بأنها سيكون لها علو كبير وانها ستفسد فى الأرض مرتين وانه ستكون هناك معركتان ، ثم يصف المعركة الثانية بأنها « وعد » .. « فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيرا »(أى يدخلوا القدس ويدمروا كل ما عَلاّ اليهود وكل مابنوا وأنشأوا).

ولاشك أن إسرائيل فى قلب ما يجرى وفى قلب ما يحاك من إفساد وتآمر على الإسلام والمسلمين فى هذه الأيام ، وهى رأس الحربة فيما يخطط لنا فى كل مكان . فالوعد فى الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله .. والوعد فى الآية الثانية بانتصار المسلمين ودخولهم القدس وتدميرهم لكل ما أنشأ اليهود وكل ما بنوا .. هو نفس الشىء .. والآيتان تتحدثان عن حدث واحد يأتى فى زماننا وبه يظهر شأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته .

وهذه قراءة تاريخية فى كتابنا أرجو أن تكون صحيحة فإننا نؤمن جميعا بأن وعد الله لا يتخلف لأنه سبحانه بيده مقاليد كل شىء وما يعد به ربنا لابد آت لا محالة .

وأقول لأبناء البوسنة الشجعان البواسل اصبروا وصابروا ورابطوا والحق منتصر بأهله وأبنائه وشهدائه بإذن الله ووعد الله لا يتخلف .

إنما هى البداية .. ولكل بداية نهاية .

●●●

ولن يكون ظهور الإسلام هذه المرة بعمل عسكرى من أعمال العنف ولا بانتصار وضيع ودنىء من مثل ما يفعله الصرب من فحش ونذالة بنساء البوسنة المسلمات وأطفالهن العزل .. وإنما بنصرة إليهة باهرة تنعقد لها الألسن وتخشع لها القلوب وينتهى بها الجدل ، وهذا يفسر الأثر الكلى الشامل المذكور فى الآية (ليظهره على الدين كله) هذه الكلية والشمولية لا تتأتى بالعنف ولا بالقهر ولكن بشىء يقطع الحجة وينهى

الشك ويحسم القضية ويجلى القضية .. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة ؟!

ولا نمضى فى التحديد ولا ننزلق إلى التأويل .. فهذه آيات تفسيرها حدوثها .

وعن الميقات المعلوم .. فإنى لا أظنه بعيدا ، فالحوادث التى تدفق وتتسارع بمعدلات فلكية لا تعطى فسحة لأى تراخ .. وبعد أن انكشف الدور العدوانى للصليبية اليهودة العالمية فى إشعال الفتن وتأجيج الحروب فى كل وطن إسلامى وفى محاصرة الإسلام فى جميع مظانه ، فإنه لم يعد هناك ما يدعو لانتظار .. خاصة أن المناخ السياسى ملائم وولاية كلينتون والنخبة الصهيونية حوله قد لاتتكرر .. إنها فرصة العمر إذن .. والسنوات الخمس القادمة يجب أن ينجز فيها كل شيء ، وسنة الفين ميعاد رمزى له فى التوراة رنين خاص .

ومن يعش منا هذه السنوات الخمس القادمة سوف يرى مالايخطر له على بال .. ولأن مصر لها مكان محورى فى هذه التحولات .. فسوف تحظى بحفاوة لا مثيل لها من جميع جبهات التآمر .. وجميع مدفعيات الفتن موجهة إليها من الآن .

وقد رأينا كيف حاولوا ضرب السياحة والاستثمار بقنابل الرعب والمسامير ، وبموجة عارمة من الاعلام الكاذب الموجه بدأت بتلطيخ الإسلام واتهام رموزه ، وانتهت بالتحذير من السفر إلى مصر أو الاقتراب منها ، ثم صور عن الفقر والقذارة وأكوام الزبالة وأخبار عن أمراض الاسهال « وهم سبب تلك الموجات الوبائية من الاسهال بما يدخلونه من مبيدات ممنوعة ومواد رش قاتلة وحيوانات مريضة » ثم الغزو الثقافى العلمانى وإحياء مدارس الشك والتغريب .

والقنبلة القادمة حى محاولة تحطيم الذرة المصرية العجيبة فى تماسكها والتى تتألف نواتها من بروتون إسلامى ، ونيوترون مسيحى ، والتى استعصت على التحطيم منذ محاولات الاستعمار الفرنسى ثم الاستعمار الانجليزى .. ومازالت صامدة رغم الفتن التى تعاقبت عليها أشكالا وألوانا وآخرها محاولات جس النبض التى حدثت فى صعيد مصر وانتهت بالفشل .

وينسى الأعداء بجميع نـوعياتهم .. إن المسيحيـة فى مصر هى مسيحية خاصة مختلفة عن مسيحية الغرب .. وإن الكنيسة المصرية لم تتحالف مع الكنيســة الأوروبيـة فى الهجمـة الصليبيـة الماضيـــة بل وقفت مع الجيش المصرى وحاربت الصليبيين وكسرتهم .

والوشــائج التى تجمع النصرانى والمسلم فى مصر كثيرة وعميقة . ونحن نتعايش ونتزواج ونتحارب معا منذ أكثر من ألف عام ، ويعلم النصرانى أن الإســلام يحترم العـذراء الطاهـرة مـريم ، ويقـول القرآن أن الله طهـرهـا واصطفاها على نساء العالمين ، وانـه وضع ابنها المسيح مع الأنبياء الأكابر من أولى العزم ، وقال فيه انه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه .. كما يعلم النصرانى المصرى أن اليهود سبـوا عيسى وقالـوا انه دجـال وابن زنا وان أمه عــاهرة وهم يكرهون اليهـود كراهية التحريم .. ولن تـدخل الصليبية اليهودية مصر أبدا .. وإذا دخلت فستدفن فيها .

ومصر ليست لبنان ولن تكون .

ومع ذلك فإنـه حتى فى لبنان وبعـد ست عشرة سنة من الحرب الأهليـة اليت سـاندتها فـرنسـا وأمريكـا وأوروبـا والفـاتيكان فشلت الصليبيـة اليهودية فى أن تصل إلى أهدافها فى تقسيـم لبنان وتغيير التركيبة السياسية فيها ، وعـادت لبنان الجريحة كما كانت وبنفـس النسبة القديمـة فى جهاز الحكم من المسيحيين والمسلمين ، ورأينـا نحن هنـا من فظائع هـذه الحرب الأهلية وعدم جدواها مـا يجعلنا نحذر ألف ألف مرة المسلم والمسيحى معا هذه الفتنة وأن نحاربها صفـا واحدا بكل ما نملك من إرادة وتصميم ، وهم فى هــذه الأيـام يجمعـون التبرعـات فى أمـريكـا بـاسم الكنيســة المصريـة المضطهـدة ويسربـون المنشـورات عن دولة قبطيـة مستقلـة فى الجنـوب عاصمتهـا أسيوط والجولة القادمـة هى تكريس هذه الفتنــة .. بضع قنابل ورصاصات طائشــة مأجورة يسقط فيها قتلى من المسيحيين .. على أمل أن تـــرتفع شكـوى من نصـــارى مصر إلى الأمم المتحـــدة من ظلم المسلمين وعدوانهم .. تعقبها قرارات بحظـر الطيران على خط عرض أسيوط .. ويبدأ التفتيت .

ولن تحقق تلك الأحلام .. لأنها أحلام دنيئة يروجها لؤم صهيونى أشد منهـا دناءة .. ولـن يحدث ذلك التحالف أبـدا بين قبط مصر ، وبين اليهـود الصهـاينة الـذين يعلم القبط من إنجيلهم أنهم أشد عـداوة لهم ولمسيحهم من الشيطان نفسه .

ولكن سوف تحدث المحاولة ولا أستبعدها .

وعلى كل مسئول أن يفتح عينيه جيدا ويـرسل جواسيسه ويسبق رياح الفتن قبل أن تهب .

ولقد ضحك الصهاينة على المسيحيين فى أمريكا وأقنعوهم بنبوءة كاذبة بأن المسيح لن ينزل من السماء إلا بعد ذبح المسلمين فى معركة هرمجدون، وكـونوا فـرقة إنجليـة أمريكيـة تروج لهذا الإفك وتجمع التبرعـات لمعركـة هـرمجدون القادمـة « يقولـون إنها سوف تحدث فى فلسطين فى السنـوات القليلة القادمة » وقـد وقفت الكنيسة المصرية ضد هذه الفـرية وحذر الأنبا شنودة من اتبـاعها .. وقـد عرفنا المسيح نبيـا داعيا إلى المحبـة ولم نعهده سفاحا داعيا إلى مجزرة .

ولكن اللؤم الصهيونى لا تنتهى حيله .

وهم فى انتظار المسيخ الـدجال الـذى سوف ينـزل على جبل صهيون ، ويأتى بالخوارق ويصنع الأعاجيب .

والمسيخ الـدجال شخصيـة موجـودة فى كتبنا وهى واردة فى أحـاديث الرســول عليه الصلاة والسلام ، وهـو ساحر يستعين بـالجن والشياطين وعلـوم الكـابـالا « العلـوم السريـة السفليـة لليهـود » ويأتى بـالخوارق والعجائب .. وهـو يجىء فى آخر الزمان ويتبعـه خلق كثير ثم ينزل المسيح الحقيقى ويقتله .

والمجىء الثـانـى للمسيح وردت بـه إشـاريات فى القـــرآن والكثير من المسلمين يؤمنون به ..

ولا شك أن نـزول المسيح بشخصه وشهـاداته على الملأ بمن هـو ومن يكون .. هل هو ابن الله أو عبد الله ، وبحقيقة ما حدث فى شبهة الصلب وبمن

كان لــه ختم النبوة ومــا شريعته التى يأمــر بها « وجميع الأنبياء فى قــرآننا مسلمــون من آدم ونوح وإدريس إلى مــوسى وعيسى ومـحمـد .. وجميعهم على عقيدة لا إله إلا الله ودينهم التوحيد المطلق » .

أقول إن شهــادة المسيح بشخصه لمحمـد عليه الصــلاة والسلام ربما تكون هى المشار إليها فى إظهار الدين بــالكلية والشمولية والعمومية التى تقطع الحجــة وتنهى الشك وتحسم القضية فى الآيــة التى بدأت بها الكــلام والله اعلم .. وقد تكــون المواجهة مشهديــة عل يمستوى جيــوش تأتى فيها النصرة بشكل بــاهــر يتحـدى جميع التــوقعـات ويلجم الألسن .. والكيف والمتى عند الله هو وحده العالم بهما .. ولكـن النصرة قادمة وظهور الإسلام على كل الأديان حقيقية قرآنية لاشك فيها .

ولا أحب أن أحملكم على جناح الغيب وأتوه بكم فى الظنون بينما الحرب معلنة علينــا فى الواقع والأعداء يحتشدون لنــا ويتكاثرون علينا ويــزرعون الشوك والألغام والموت فى طريقنا . وأقــول نفتح عيوننا على الواقع أفضل .. ونستعد بكل مــا نملك لنخوض هــذه اسنوات العجــاف ، وتعقد عهـد أخاء ومحبــة نصارى ومسلمين بــأن نحارب معــا كل من يمس شبرا واحــدا من أرض مصر ، وكل من يتعدى على قطرة من نيلها .. ويكون هذا ميثاق الوقت الذى نعاهد الله عليه .. والله معنا ما دمنا يدا واحدة .

●●●

ويسألــوننى لماذا كل هــذه الثقــة بانتصــار الإســلام رغم تخلف أهلــه وانقاسمهم وفقــرهم ومهانتهم وجهلهــم ، ورغم أنهم بلا سيف وبــلا قوة وبلا سند ورغم كل هذا الظلام المطبق الذى لا يبدو فيه خيط نور .. فأقول لهم : نعم .. سيف الإســلام الآن مكسور وأهلــه متخلفــون وجهلة وفقــراء ومنقسمــون ، ولكنه مع ذلك يــا أخــوة ورغم ذلك ينتصر الإسلام ويغــزو القلــوب وينتشر فى كل بقــاع الأرض بل وفى قلب بــاريس ولنـــدن وبــرلين ونيويــورك ، يتقدم كل يــوم أجانب لشيوخ المســاجد هنــاك ، ويطلبون أن يسلموا ويتعلمــوا أركان الإســلام .. هكــذا ببساطــة .. ونقرأ عن كتب تخرج

مـــــن قلاع الكفر تشيد بالإسلام وبتعاليمه وبنبيه .. وآخرها كتاب مراد هوفمان السفير الألماني الذى أسلم واختار عنوان كتابه :

« الإسلام هو الحل البديل » .. ومن قبله جارودي الذى جاء إلى الإسلام من قلعــة الشيوعيــة ، وكتب عشرات النشرات والكتب .. ومن قبله مــوريس بوكــاى وليوبولدفــايس ، وغيرهم وغيرهم .. وهذه معجزة الإســلام .. فهو يتقــدم وينتصر بقوتــه الذاتيــة ويحدث هذا في أشــد أحوال المسمين تأخــرا وانحطاطا .

وقد انتصر صــلاح الدين الأيــوبى على الصليبيين وكانــت مصر فى أسوأ أحــوالها . وانتصر قطــز على التتار وكــانت المماليك شراذم تقــاتل بعضهــا بعضــا.

إن الإســلام له سر ربــانى وله سلطــان فى ذاته وهــذا ما يجعل أعــداءه المسلحين حتى الأسنان يــرتجفون منه رعبــا ويحسبون لــه ألف حساب وقتل المسلمين يــا أخــوة شيء آخــر تمامــا ولا يعنى أبــدا قتل الإســلام .. والمسلمون أكثــرهم موتى بالفعــل وكل ما يستجد أن مــوتهم يعلن .. وهذا أمــر هــامشى تمامــا ، فمن مــات الإســلام فى قلبــه لا يــدخل تحت تعــداد المسلمين، أما من يحيــا الإسلام فى قلوبهم فــلا خوف عليهم ولا سبيل لأى سلطان فى الأرض عليهم .

والعـــالم مقبل ولاشك على منعطف خطير من التحــولات .. ولا أظن أن زيارة بابــا الفاتيكان لأمريكــا كانت لإنشاد التراتيل . فالــرجل سياسى من الــدرجةالأولى وهــو لا يــرى فى سقوط الشيــوعيــة فى روسيا صحــوة لكل الأديــان بل يراهــا صحوة واجبــة لديــن واحد هــو المسيحية الكــاثوليكيــة والرجل مخلص على طــريقته . ومــا جاء الرجل لأمــريكا ليضــع ســلاما بين الأديان بل ليضــع سيفــا ، وأموال الفاتيكان تنفق حاليــا فى تسليح الكروات وكــانت من قبل تنفق فى تسليح كــاثــوليك لبنان فى الحرب الأهليــة ، وهــذه الأخبار ليست من عندي بل رددتها وكالات الأنباء مرارا وتكرارا .

أقول هــذا الكلام لأســاقفة العلمانيــة فى بلادنــا الذيــن يقولــون نطرح الأديان وراء ظهــرنا ونحل مشاكلنا بأسلــوب علمى لا دينى .. وأقول لهم : أفيقوا من خبالكم .. أننا مقبلون على جهنم .. وادعو الله ألا ينجرف نصــارى

مصر فى هذا التيـار العنيف المدمر .. وأن تكـون مصر فى عيوننـا جميعا وأن تكون لـوحدة مصر الأولوية عى كل اعتبـار ، فمصر فى ذاتها قيمة .. ومصر هى مهبط الرسـالات وكعبـة التوحيد وهى فى عين الله وفى رعايته وقـد ذكرها الله بالاسم وبـالإشـارة فى قرآنـه أكثر من أربع عشرة ، مرة وقـد كانت مصر رمزا دائما للتعـايش بين الأديان وللتسـامح والسلام .. فحـافظوا على مصر من أجلكم أنتم ومن أجل القيم التى تدافعون عنها .

محتويات الكتاب

صفحة

- الحب القديم ٥
- الاسم .. اللطيف .. ومعجزته ١٧
- كلام عن الآخرة ٢٥
- الدين الجديد الذى يدعون إليه ٣٣
- والغزاة الجدد ٤٥
- المسلمون فى خندق ٥٥
- والإسلام معطل ٦٥
- يد تمتد بالسلام .. والأخرى على الزناد ٧٧
- انحلال .. وكوكايين وخلافه ٨٩
- المنطق يسير بالمقلوب ١٠١
- الإسلام الغائب ١١٠
- وغدا تذهب السكرة وتأتى الفكرة ١٢١
- أهون على الله أن تهدم كعبته
  من أن يقتل مؤمن واحد ظلما ١٣٣
- ساعة الخلاص ١٤٣

رقم الإيداع ٢١٥٥ / ٩٤

I.S.B.N.

977 - 08 - 0211 - 5

طبع بمطـــابع دار أخبـــار اليــوم

الإسلام فى خندق ..
الإرهاب يحاصره عن شمال..
والعَلْمانية تضرب فيه من اليمين..
وأطماع الغرب الاستعمارى تهدده من الأمام .
وتخاذل الدول العربية وتفككها يهدده من الوراء .
والأمية الإسلامية تضرب عليه خيمة من اليأس .
ما المصير .. ؟
وما المخرج.. ؟
هذا موضوع كتابنا .

■ الثمن ٥ جنيهات ■

طبع بمطابع دار أخبار اليوم

To: www.al-mostafa.com